**الكتاب: مناظرات الإمام الصادق (ع)**
**المؤلف: الحاج حسين الشاكري**
**الجزء:**
**الوفاة: معاصر**
**المجموعة: من مصادر العقائد عند الشيعة الإمامية**
**تحقيق:**
**الطبعة: الأولى**
**سنة الطبع: ١٤١٨**
**المطبعة: ستارة**
**الناشر: المؤلف**
**ردمك:**
**ملاحظات:**

سلسلة
الثقافة الإسلامية (٩)
مناظرات الإمام الصادق (عليه السلام)
و
تصديه لحركة الزندقة
تأليف
حسين الشاكري

حقوق الطبع
محفوظة للمؤلف
اسم الكتاب: مناظرات الإمام الصادق (عليه السلام)
تأليف: حسين الشاكري
الناشر: المؤلف
الطبعة: الأولى - ١٤١٨ ه
المطبعة: ستارة
العدد: ٣٠٠٠ نسخة
عنوان المؤلف
الجمهورية الإسلامية في إيران - قم المقدسة
زنبيل آباد - ٣٠ متري آستانة - بلاك ٧٦ - كد ٣٧١٦٦
هاتف ٩٢٦٩٩٠ و ٩٢٧٨٧١ - كد ٠٠٩٨٢٥١

تمهيد
الهدف من إحياء التراث الإسلامي، وإشاعة العقيدة
الحقة لمذهب أهل البيت (عليهم السلام) في أوساط شبابنا الحائر
بين تيارات الثقافات الغربية، الغربية، المشبعة بسموم
أفكار الصهيونية والصليبية والماركسية، بتخطيط من
الماسونية العالمية.
وكذلك غزو الآراء الشاذة الضالة، من بعض
المذاهب التي تدعي الإسلام زورا وبهتانا، بدفع من
الاستعمار والماسونية العالمية، بهدف التخريب والتفرقة
وقطع الجسور الممتدة بين المسلمين كافة، وتكفير مذهب
شيعة أهل البيت (عليهم السلام) خاصة.
والغرض من تسليح شبابنا الناهض للوقوف بوجه

تلكم التيارات المنحرفة الضالة، ليدافع عن مبادئه
وعقيدته كما دافع عنها سلفنا الصالح وتحمل العنت
والعذاب في سبيل ذلك، لا سيما شبابنا الذين قهرتهم
الظروف العصيبة والالتجاء إلى أحضان دول الكفر، لسد
حاجاتهم البايولوجية، كالمستجير من الرمضاء بالنار.
والله أسأل أن يسدد خطانا ويهدينا إلى سواء
السبيل، وهو أرحم الراحمين.
حسين الشاكري

احتجاجات الإمام (عليه السلام)
ومناظراته
كانت للإمام الصادق (عليه السلام) احتجاجات ومناظرات كثيرة في شتى العلوم سواء الدينية منها والدنيوية، مع أهل الملل والنحل، والأديان الأخرى.
سنورد بعضا منها لتعسر الإحاطة بجميعها.
١ – مناظرة في التوحيد
روي عن هشام بن الحكم، أنه قال: سأل أحد الزنادقة الإمام الصادق (عليه السلام) قائلا: ما الدليل على أن الله صانع؟
فقال أبو عبد الله (عليه السلام): وجود الأفاعيل التي دلت

على أن صانعها صنعها، ألا ترى أنك إذا نظرت إلى بناء مشيد مبني، علمت أن له بانيا، وإن كنت لم تر الباني ولم تشاهده.
قال: فما هو؟
قال: هو شئ بخلاف الأشياء، أرجع بقولي شئ إلى إثباته، وإنه شئ بحقيقته الشيئية، غير إنه لا جسم ولا صورة ولا يحس ولا يجس ولا يدرك بالحواس الخمس، لا تدركه الأوهام ولا تنقصه الدهور ولا يغيره الزمان.
قال السائل: فإنا لم نجد موهوما إلا مخلوقا.
قال أبو عبد الله (عليه السلام): لو كان ذلك كما تقول، لكان التوحيد منا مرتفعا لأنا لم نكلف أن نعتقد غير موهوم، لكنا نقول: كل موهوم بالحواس مدرك بها تحده الحواس ممثلا، فهو مخلوق، ولا بد من إثبات كون صانع الأشياء خارجا من الجهتين المذمومتين: إحداهما النفي إذا كان النفي هو الإبطال والعدم، والجهة الثانية التشبيه بصفة المخلوق الظاهر التركيب والتأليف، فلم يكن بد من إثبات الصانع لوجود المصنوعين، والاضطرار منهم إليه، إنهم

مصنوعون، وإن صانعهم غيرهم وليس مثلهم، إن كان مثلهم شبيها بهم في ظاهر التركيب والتأليف وفيما يجري عليهم من حدوثهم بعد أن لم يكونوا، وتنقلهم من صغر إلى كبر، وسواد إلى بياض، وقوة إلى ضعف، وأحوال موجودة لا حاجة بنا إلى تفسيرها لثباتها ووجودها.

قال الزنديق: فأنت قد حددته إذ أثبت وجوده؟

قال أبو عبد الله (عليه السلام): لم أحدده ولكني أثبته، إذ لم يكن بين الإثبات والنفي منزلة.

قال الزنديق: فقوله * (الرحمن على العرش استوى) * (١)؟

قال أبو عبد الله (عليه السلام): بذلك وصف نفسه، وكذلك هو مستول على العرش بائن من خلقه، من غير أن يكون العرش محلا له، لكنا نقول: هو حامل وممسك للعرش، ونقول في ذلك ما قال: * (وسع كرسيه السماوات والأرض) * (٢)، فثبتنا من العرش والكرسي ما ثبته، ونفينا

---

(١) طه: ٥.

(٢) البقرة: ٢٥٥.

أن يكون العرش والكرسي حاويا له، وأن يكون عز وجل محتاجا إلى مكان، أو إلى شئ مما خلق، بل خلقه محتاجون إليه (١).

قال الزنديق: فما الفرق بين أن ترفعوا أيديكم إلى السماء وبين أن تخفضوها نحو الأرض؟

قال أبو عبد الله: في علمه وإحاطته وقدرته سواء، ولكنه عز وجل أمر أولياءه وعباده برفع أيديهم إلى السماء نحو العرش، لأنه جعله معدن الرزق، فثبتنا ما ثبته القرآن والأخبار عن الرسول، حين قال: " إرفعوا أيديكم إلى الله عز وجل " وهذا تجمع عليه فرق الأمة كلها.

ومن سؤاله أن قال: ألا يجوز أن يكون صانع العالم أكثر من واحد؟

قال أبو عبد الله: لا يخلو قولك إنهما اثنان من أن يكونا قديمين قويين أو يكونا ضعيفين، أو يكون أحدهما قويا والآخر ضعيفا، فإن كانا قويين فلم لا يدفع كل واحد منهما صاحبه ويتفرد بالربوبية، وإن زعمت أن أحدهما

---

(١) الاحتجاج: ٣٣٢.

قوي والآخر ضعيف، ثبت أنه واحد كما نقول، للعجز الظاهر في الثاني، وإن قلت: إنهما اثنان، لم يخل من أن يكونا متفقين من كل جهة، أو مفترقين من كل جهة، فلما رأينا الخلق منتظمة، والفلك جاريا، واختلاف الليل والنهار والشمس والقمر، دل ذلك على صحة الأمر والتدبير، وائتلاف الأمر، وأن المدبر واحد (١).

وعن هشام بن الحكم، قال: دخل ابن أبي العوجاء على الصادق (عليه السلام)، فقال له الصادق (عليه السلام): يا ابن أبي العوجاء! أنت مصنوع أم غير مصنوع؟

قال: لست بمصنوع.

فقال له الصادق: فلو كنت مصنوعا كيف كنت؟ فلم يحر ابن أبي العوجاء جوابا، وقام وخرج.

وعن هشام بن الحكم، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن أسماء الله عز ذكره واشتقاقها، فقلت: الله، مما هو مشتق؟

قال: يا هشام، الله مشتق من إله، وإله يقتضي

---

(١) الاحتجاج: ٣٣١.

مألوها، والاسم غير المسمى، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئا، ومن عبد الاسم والمعنى فقد كفر وعبد الاثنين، ومن عبد المعنى دون الاسم فذاك التوحيد، أفهمت يا هشام؟

قال: فقلت: زدني! فقال: إن لله تسعة وتسعين اسما، فلو كان الاسم هو المسمى لكان كل اسم منها إلها، ولكن لله معنى يدل عليه، فهذه الأسماء كلها غيره، يا هشام، الخبز اسم للمأكول، والماء اسم للمشروب، والثوب اسم للملبوس، والنار اسم للمحروق، أفهمت يا هشام فهما تدفع به وتناضل به أعداءنا والمتخذين مع الله غيره؟ قلت: نعم.

قال: فقال: نفعك الله به وثبتك!

قال هشام: فوالله ما قهرني أحد في علم التوحيد حتى قمت مقامي هذا.

وروي أن الصادق (عليه السلام) قال لابن أبي العوجاء: إن يكن الأمر كما تقول - وليس كما تقول - نجونا ونجوت، وإن يكن الأمر كما نقول - وهو كما نقول - نجونا وهلكت.

٢ - مناظرة في حدوث العالم

وروي أيضا أن ابن أبي العوجاء سأل الصادق (عليه السلام) عن حدث العالم، فقال: ما وجدت صغيرا ولا كبيرا إلا إذا ضم إليه مثله صار أكبر، وفي ذلك زوال وانتقال عن الحالة الأولى، ولو كان قديما ما زال ولا حال، لأن الذي يزول ويحول يجوز أن يوجد ويبطل، فيكون بوجوده بعد عدمه دخول في الحدث، وفي كونه في الأزل دخول في القدم، ولن يجتمع صفة الحدوث والقدم في شئ واحد.

قال ابن أبي العوجاء: هبك علمك في جري الحالتين والزمانين على ما ذكرت استدللت على حدوثها، فلو بقيت الأشياء على صغرها، من أين كان لك أن تستدل على حدوثها؟

فقال (عليه السلام): إنا نتكلم على هذا العالم الموضوع، فلو رفعناه ووضعنا عالما آخر كان لا شئ أدل على الحدث، ومن رفعنا إياه ووضعنا غيره، لكن أجيبك من حيث قدرت أن تلزمنا، فنقول: إن الأشياء لو دامت على

صغرها لكان في الوهم أنه متى ضم شئ منه إلى شئ منه كان أكبر، وفي جواز التغير عليه خروجه من القدم، كما إن في تغيره دخوله في الحدث، وليس لك وراءه شئ يا عبد الكريم (١).

٣ - مناظرة في مسائل شتى

ومن سؤال الزنديق الذي سأل أبا عبد الله (عليه السلام) عن مسائل كثيرة، أنه قال: كيف يعبد الله الخلق ولم يروه؟

قال: رأته القلوب بنور الإيمان، وأثبتته العقول بيقظتها إثبات العيان، وأبصرته الأبصار بما رأته من حسن التركيب وإحكام التأليف، ثم الرسل وآياتها والكتب ومحكماتها، اقتصرت العلماء على ما رأت من عظمته دون رؤيته.

قال الزنديق: أليس هو قادر أن يظهر لهم حتى يروه فيعرفونه فيعبد على يقين؟ قال: ليس للمحال جواب.

---

(١) الاحتجاج: ٣٣٦.

قال الزنديق: فمن أين أثبت أنبياء ورسلا؟
قال (عليه السلام): إنا لما أثبتنا أن لنا خالقا صانعا متعاليا عنا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيما، لم يجز أن يشاهده خلقه، ولا أن يلامسوه ولا أن يباشرهم ويباشروه ويحاجهم ويحاجوه، ثبت أن له سفراء في خلقه وعباده يدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم، فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه، وثبت عند ذلك أن له معبرين هم أنبياء الله وصفوته من خلقه، حكماء مؤدبين بالحكمة، مبعوثين عنه، مشاركين للناس في أحوالهم على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب، مؤيدين من عند الحكيم العليم بالحكمة والدلائل والبراهين والشواهد: من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، فلا تخلو الأرض من حجة يكون معه علم يدل على صدق مقال الرسول ووجوب عدالته.
ثم قال (عليه السلام) بعد ذلك: نحن نزعم أن الأرض لا تخلو من حجة، ولا تكون الحجة إلا من عقب الأنبياء، ما بعث الله نبيا قط من غير نسل الأنبياء، وذلك أن الله

شرع لبني آدم طريقا منيرا، وأخرج من آدم نسلا طاهرا طيبا، أخرج منه الأنبياء والرسل، هم صفوة الله وخلص الجوهر، طهروا في الأصلاب، وحفظوا في الأرحام، لم يصبهم سفاح الجاهلية، ولا شاب أنسابهم، لأن الله عز وجل جعلهم في موضع لا يكون أعلى درجة وشرفا منه، فمن كان خازن علم الله وأمين غيبه ومستودع سره وحجته على خلقه وترجمانه ولسانه، لا يكون إلا بهذه الصفة، فالحجة لا يكون إلا من نسلهم، يقوم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الخلق بالعلم الذي عنده وورثه عن الرسول، إن جحده الناس سكت، وكان بقاء ما عليه الناس قليلا مما في أيديهم من علم الرسول على اختلاف منهم فيه، قد أقاموا بينهم الرأي والقياس وإنهم إن أقروا به وأطاعوه وأخذوا عنه، ظهر العدل، وذهب الاختلاف والتشاجر، واستوى الأمر، وأبان الدين، وغلب على الشك اليقين، ولا يكاد أن يقر الناس به ولا يطيعوا له أو يحفظوا له بعد فقد الرسول، وما مضى رسول ولا نبي قط لم تختلف أمته من بعده، وإنما كان علة اختلافهم على الحجة وتركهم إياه.

قال الزنديق: فما يصنع بالحجة إذا كان بهذه الصفة؟

قال (عليه السلام): قد يقتدى به ويخرج عنه الشئ بعد الشئ مكانه منفعة الخلق وصلاحهم، فإن أحدثوا في دين الله شيئا أعلمهم، وإن زادوا فيه أخبرهم، وإن نفذوا منه شيئا أفادهم.

ثم قال الزنديق: من أي شئ خلق الله الأشياء؟

قال (عليه السلام): لا من شئ.

فقال الزنديق: كيف يجئ من لا شئ شئ؟

قال (عليه السلام): إن الأشياء لا تخلو إما أن تكون خلقت من شئ أو من غير شئ، فإن كان خلقت من شئ كان معه، فإن ذلك الشئ قديم، والقديم لا يكون حديثا ولا يفنى ولا يتغير، ولا يخلو ذلك الشئ من أن يكون جوهرا واحدا ولونا واحدا، فمن أين جاءت هذه الألوان المختلفة والجواهر الكثيرة الموجودة في هذا العالم من ضروب شتى؟ ومن أين جاء الموت إن كان الشئ الذي أنشئت منه الأشياء حيا؟ ومن أين جاءت الحياة إن كان ذلك الشئ ميتا؟ ولا يجوز أن يكون من حي وميت قديمين لم يزالا، لأن الحي لا يجئ منه ميت وهو لم يزل حيا، ولا يجوز أيضا أن يكون الميت قديما لم يزل لما هو

به من الموت، لأن الميت لا قدرة له ولا بقاء.
قال الزنديق: فمن أين قالوا إن الأشياء أزلية؟
قال (عليه السلام): هذه مقالة قوم جحدوا مدبر الأشياء فكذبوا الرسل ومقالتهم، والأنبياء وما أنبأوا عنه، وسموا كتبهم أساطير، ووضعوا لأنفسهم دينا بآرائهم واستحسانهم، إن الأشياء تدل على حدوثها، من دوران الفلك بما فيه، وهي سبعة أفلاك وتحرك الأرض ومن عليها وانقلاب الأزمنة، واختلاف الوقت، والحوادث التي تحدث في العالم، من زيادة ونقصان وموت وبلى، واضطرار النفس إلى الإقرار بأن لها صانعا ومدبرا، ألا ترى الحلو يصير حامضا، والعذب مرا، والجديد باليا، وكل إلى تغير وفناء؟
قال الزنديق: فلم يزل صانع العالم عالما بالأحداث التي أحدثها قبل أن يحدثها؟
قال (عليه السلام): فلم يزل يعلم فخلق ما علم.
قال الزنديق: أمختلف هو أم مؤتلف؟
قال (عليه السلام): لا يليق به الاختلاف ولا الائتلاف، وإنما يختلف المتجزي، ويأتلف المتبعض، فلا يقال له:

مؤتلف ولا مختلف.
قال الزنديق: فكيف هو الله الواحد؟
قال (عليه السلام): واحد في ذاته، فلا واحد كواحد، لأن ما سواه من الواحد متجزي، وهو تبارك وتعالى واحد لا يتجزى، ولا يقع عليه العد.
قال الزنديق: فلأي علة خلق الخلق وهو غير محتاج إليهم، ولا مضطر إلى خلقهم، ولا يليق به التعبث بنا؟
قال (عليه السلام): خلقهم لإظهار حكمته وإنفاذ علمه وإمضاء تدبيره.
قال الزنديق: وكيف لا يقتصر على هذه الدار فيجعلها دار ثوابه ومحتبس عقابه؟
قال (عليه السلام): إن هذه الدار دار ابتلاء، ومتجر الثواب ومكتسب الرحمة، ملئت آفات، وطبقت شهوات، ليختبر فيها عبيده بالطاعة، فلا يكون دار عمل دار جزاء.
قال الزنديق: أفمن حكمته أن جعل لنفسه عدوا، وقد كان ولا عدو له، فخلق كما زعمت (إبليس) فسلطه على عبيده يدعوهم إلى خلاف طاعته، ويأمرهم

بمعصيته، وجعل له من القوة كما زعمت ما يصل بلطف الحيلة إلى قلوبهم، فيوسوس إليهم فيشككهم في ربهم، ويلبس عليهم دينهم فيزيلهم عن معرفته، حتى أنكر قوم لما وسوس إليهم ربوبيته، وعبدوا سواه، فلم سلط عدوه على عبيده، وجعل له السبيل إلى إغوائهم؟

قال (عليه السلام): إن هذا العدو الذي ذكرت لا تضره عداوته، ولا تنفعه ولايته، وعداوته لا تنقص من ملكه شيئا، وولايته لا تزيد فيه شيئا، وإنما يتقى العدو إذا كان في قوة يضر وينفع، إن هم بملك أخذه، أو بسلطان قهره، فأما إبليس فعبد، خلقه ليعبده ويوحده، وقد علم حين خلقه ما هو وإلى ما يصير إليه، فلم يزل يعبده مع ملائكته حتى امتحنه بسجود آدم، فامتنع من ذلك حسدا وشقاوة غلبت عليه فلعنه عند ذلك، وأخرجه عن صفوف الملائكة، وأنزله إلى الأرض ملعونا مدحورا فصار عدو آدم وولده بذلك السبب، ما له من السلطة على ولده إلا الوسوسة، والدعاء إلى غير السبيل، وقد أقر مع معصيته لربه بربوبيته.

قال الزنديق: أفيصلح السجود لغير الله؟

قال (عليه السلام): لا.
قال الزنديق: فكيف أمر الله الملائكة بالسجود لآدم؟
قال (عليه السلام): إن من سجد بأمر الله سجد لله إذا كان عن أمر الله.
قال الزنديق: فمن أين أصل الكهانة، ومن أين يخبر الناس بما يحدث؟
قال (عليه السلام): إن الكهانة كانت في الجاهلية، في كل حين فترة من الرسل، كان الكاهن بمنزلة الحاكم يحتكمون إليه فيما يشتبه عليهم من الأمور بينهم، فيخبرهم عن أشياء تحدث، وذلك من وجوه شتى: فراسة العين، وذكاء القلب، ووسوسة النفس، وفتنة الروح، مع قذف في قلبه، لأن ما يحدث في الأرض من الحوادث الظاهرة، فذلك يعلمه الشيطان ويؤديه إلى الكاهن، ويخبره بما يحدث في المنازل والأطراف.
وأما أخبار السماء: فإن الشياطين كانت تقعد مقاعد استراق السمع إذ ذاك، وهي لا تحجب، ولا ترجم بالنجوم، وإنما منعت من استراق السمع لئلا يقع

في الأرض سبب تشاكل الوحي من خبر السماء، فيلبس على أهل الأرض ما جاءهم عن الله، لإثبات الحجة ونفي الشبهة، وكان الشيطان يسترق الكلمة الواحدة من خبر السماء بما يحدث من الله في خلقه فيختطفها ثم يهبط بها إلى الأرض، فيقذفها إلى الكاهن، فإذا قد زاد كلمات من عنده، فيخلط الحق بالباطل، فما أصاب الكاهن من خبر مما كان يخبر به، فهو ما أداه إليه الشيطان لما سمعه، وما أخطأ فيه فهو من باطل ما زاد فيه، فمنذ منعت الشياطين عن استراق السمع انقطعت الكهانة، واليوم إنما تؤدي الشياطين إلى كهانها أخبارا للناس بما يتحدثون به، وما يحدثونه، والشياطين تؤدي إلى الشياطين، ما يحدث في البعد من الحوادث من سارق سرق، ومن قاتل قتل، ومن غائب غاب، وهم بمنزلة الناس أيضا، صدوق وكذوب.

قال الزنديق: وكيف صعدت الشياطين إلى السماء، وهم أمثال الناس في الخلقة والكثافة، وقد كانوا يبنون لسليمان بن داود (عليه السلام) من البناء ما يعجز عنه ولد آدم؟

قال (عليه السلام): غلظوا لسليمان كما سخروا وهم خلق

رقيق، غذاؤهم النسيم، والدليل على كل ذلك صعودهم إلى السماء لاستراق السمع، ولا يقدر الجسم الكثيف على الارتقاء إليها بسلم أو بسبب.

قال الزنديق: فأخبرني عن السحر ما أصله؟ وكيف يقدر الساحر على ما يوصف من عجائبه، وما يفعل؟

قال (عليه السلام): إن السحر على وجوه شتى، وجه منها: بمنزلة الطب، كما أن الأطباء وضعوا لكل داء دواء، فكذلك علم السحر، احتالوا لكل صحة آفة، ولكل عافية عاهة، ولكل معنى حيلة. ونوع آخر منه: خطفة وسرعة ومخاريق وخفة. ونوع آخر: ما يأخذ أولياء الشياطين عنهم.

قال الزنديق: فمن أين علم الشياطين السحر؟

قال (عليه السلام): من حيث عرف الأطباء الطب، بعضه تجربة وبعضه علاج.

قال الزنديق: فما تقول في الملكين هاروت وماروت؟ وما يقول الناس بأنهما يعلمان الناس السحر؟

قال (عليه السلام): إنهما موضع ابتلاء وموقع فتنة، تسبيحهما: اليوم لو فعل الإنسان كذا وكذا لكان كذا وكذا، ولو يعالج بكذا وكذا لكان كذا، أصناف السحر، فيتعلمون

منهما ما يخرج عنهما، فيقولان لهم: إنما نحن فتنة فلا تأخذوا عنا ما يضركم ولا ينفعكم.
قال الزنديق: أفيقدر الساحر أن يجعل الإنسان بسحره في صورة الكلب أو الحمار أو غير ذلك؟
قال (عليه السلام): هو أعجز من ذلك، وأضعف من أن يغير خلق الله، إن من أبطل ما ركبه الله وصوره وغيره فهو شريك الله في خلقه، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، لو قدر الساحر على ما وصفت لدفع عن نفسه الهرم والآفة والأمراض، ولنفى البياض عن رأسه والفقر عن ساحته، وإن من أكبر السحر النميمة، يفرق بها بين المتحابين، ويجلب العداوة على المتصافيين، ويسفك بها الدماء، ويهدم بها الدور، ويكشف بها الستور، والنمام أشر من وطئ الأرض بقدم، فأقرب أقاويل السحر من الصواب أنه بمنزلة الطب، إن الساحر عالج الرجل فامتنع من مجامعة النساء، فجاء الطبيب فعالجه بغير ذلك العلاج، فابرئ.
قال الزنديق: فما بال ولد آدم فيهم شريف ووضيع؟
قال (عليه السلام): الشريف المطيع، والوضيع العاصي.

قال الزنديق: أليس فيهم فاضل ومفضول؟
قال (عليه السلام): إنما يتفاضلون بالتقوى.
قال الزنديق: فتقول إن ولد آدم كلهم سواء في الأصل لا يتفاضلون إلا بالتقوى؟
قال (عليه السلام): نعم، إني وجدت أصل الخلق التراب، والأب آدم والأم حواء، خلقهم إله واحد، وهم عبيده، إن الله عز وجل اختار من ولد آدم أناسا طهر ميلادهم، وطيب أبدانهم، وحفظهم في أصلاب الرجال وأرحام النساء، أخرج منهم الأنبياء والرسل، فهم أزكى فروع آدم، فعل ذلك لأمر استحقوه من الله عز وجل، ولكن علم الله منهم - حين ذرأهم - أنهم يطيعونه ويعبدونه ولا يشركون به شيئا، فهؤلاء بالطاعة نالوا من الله الكرامة والمنزلة الرفيعة عنده، وهؤلاء الذين لهم الشرف والفضل والحسب، وسائر الناس سواء، ألا من اتقى الله أكرمه، ومن أطاعه أحبه، ومن أحبه لم يعذبه بالنار!!
قال الزنديق: فأخبرني عن الله عز وجل كيف لم يخلق الخلق كلهم مطيعين موحدين وكان على ذلك قادرا؟

قال (عليه السلام): لو خلقهم مطيعين لم يكن لهم ثواب، لأن الطاعة إذا ما كانت فعلهم لم يكن جنة ولا نار، ولكن خلق خلقه فأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته واحتج عليهم برسله وقطع عذرهم بكتبه، ليكونوا هم الذين يطيعون ويعصون ويستوجبون بطاعتهم له الثواب وبمعصيتهم إياه العذاب.

قال الزنديق: فالعمل الصالح من العبد هو فعله، والعمل الشر من العبد هو فعله؟

قال (عليه السلام): العمل الصالح من العبد بفعله والله به أمره، والعمل الشر من العبد بفعله والله عنه نهاه.

قال الزنديق: أليس فعله بالآلة التي ركبها فيه؟

قال (عليه السلام): نعم. ولكن بالآلة التي عمل بها الخير قدر على الشر الذي نهاه عنه.

قال الزنديق: فإلى العبد من الأمر شئ؟

قال (عليه السلام): ما نهاه الله عن شئ إلا وقد علم أنه يطيق تركه، ولا أمره بشئ إلا وقد علم أنه يستطيع فعله، لأنه ليس من صفته الجور والعبث والظلم وتكليف العباد ما لا يطيقون.

قال الزنديق: فمن خلقه الله كافرا، أيستطيع الإيمان، وله عليه بتركه الإيمان حجة؟

قال (عليه السلام): إن الله خلق خلقه جميعا مسلمين، أمرهم ونهاهم، والكفر اسم يلحق الفعل حين يفعله العبد، ولم يخلق الله العبد حين خلقه كافرا، إنه إنما كفر من بعد أن بلغ وقتا لزمته الحجة من الله، فعرض عليه الحق فجحده، فبإنكاره الحق صار كافرا (١).

قال الزنديق: أفيجوز أن يقدر على العبد الشر، ويأمره بالخير وهو لا يستطيع الخير أن يعلمه، ويعذبه عليه؟

قال (عليه السلام): إنه لا يليق بعدل الله ورأفته أن يقدر على العبد الشر ويريده منه، ثم يأمره بما يعلم أنه لا يستطيع أخذه، والإنزاع عما لا يقدر على تركه، ثم يعذبه على أمره الذي علم أنه لا يستطيع أخذه.

---

(١) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): " كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويشركانه "، كنز العمال، الجزء الأول، الحديث ١٣٠٧.

قال الزنديق: بماذا استحق الذين أغناهم وأوسع عليهم من رزقه الغناء والسعة، وبماذا استحق الفقير التقتير والتضييق؟

قال (عليه السلام): اختبر الأغنياء بما أعطاهم لينظر كيف شكرهم، والفقراء بما منعهم لينظر كيف صبرهم.

ووجه آخر: أنه عجل لقوم في حياتهم، ولقوم أخر ليوم حاجتهم إليه.

ووجه آخر: فإنه علم احتمال كل قوم فأعطاهم على قدر احتمالهم، ولو كان الخلق كلهم أغنياء لخربت الدنيا وفسد التدبير، وصار أهلها إلى الفناء ولكن جعل بعضهم لبعض عونا، وجعل أسباب أرزاقهم في ضروب الأعمال وأنواع الصناعات، وذلك أدوم في البقاء وأصح في التدبير، ثم اختبر الأغنياء بالاستعطاف على الفقراء، كل ذلك لطف ورحمة من الحكيم الذي لا يعاب تدبيره.

قال الزنديق: فما استحق الطفل الصغير ما يصيبه من الأوجاع والأمراض بلا ذنب عمله، ولا جرم سلف منه؟

قال (عليه السلام): إن المرض على وجوه شتى: مرض

بلوى، ومرض عقوبة، ومرض جعل علة للفناء، وأنت تزعم أن ذلك عن أغذية ودية، وأشربة وبية (١)، أو من علة كانت بأمه، وتزعم أن من أحسن السياسة لبدنه، وأجمل النظر في أحوال نفسه، وعرف الضار مما يأكل من النافع لم يمرض، وتميل في قولك إلى من يزعم أنه لا يكون المرض والموت إلا من المطعم والمشرب! قد مات أرسطاطاليس معلم الأطباء وإفلاطون رئيس الحكماء، وجالينوس شاخ ودق بصره وما دفع الموت حين نزل بساحته، ولم يألوا حفظ أنفسهم والنظر لما يوافقها، كم مريضا قد زاده المعالج سقما، وكم من طبيب عالم وبصير بالأدواء (٢) والأدوية ماهر مات، وعاش الجاهل بالطب بعده زمانا، فلا ذاك نفعه علمه بطبه عند انقطاع مدته وحضور أجله، ولا هذا ضره الجهل بالطب مع بقاء المدة وتأخر الأجل.

ثم قال (عليه السلام): إن أكثر الأطباء قالوا: إن علم الطب

---

(١) الودية: المهلكة، الوبية: الكثيرة الوباء.

(٢) الأدواء: الأمراض.

لم تعرفه الأنبياء، فما نصنع على قياس قولهم بعلم زعموا ليس تعرفه الأنبياء الذين كانوا حجج الله على خلقه، وأمناءه في أرضه، وخزان علمه، وورثة حكمته، والأدلاء عليه، والدعاة إلى طاعته؟

ثم إني وجدت أن أكثرهم يتنكب في مذهبه سبل الأنبياء، ويكذب الكتب المنزلة عليهم من الله تبارك وتعالى، فهذا الذي أزهدني في طلبه وحامليه.

قال الزنديق: فكيف تزهد في قوم وأنت مؤدبهم وكبيرهم؟

قال (عليه السلام): إني رأيت الرجل الماهر في طبه إذا سألته لم يقف على حدود نفسه، وتأليف بدنه، وتركيب أعضائه، ومجرى الأغذية في جوارحه، ومخرج نفسه، وحركة لسانه، ومستقر كلامه، ونور بصره، وانتشار ذكره، واختلاف شهواته، وانسكاب عبراته، ومجمع سمعه، وموضع عقله، ومسكن روحه، ومخرج عطسته، وهيج غمومه، وأسباب سروره، وعلة ما حدث فيه من بكم وصمم وغير ذلك، لم يكن عندهم في ذلك أكثر من أقاويل استحسنوها، وعلل فيما بينهم جوزوها.

قال الزنديق: فأخبرني هل يعاب شئ من خلق الله وتدبيره؟
قال (عليه السلام): لا.
قال الزنديق: فإن الله خلق خلقه غرلا (١)، أذلك منه حكمة أم عبث؟
قال (عليه السلام): بل منه حكمة.
قال الزنديق: غيرتم خلق الله، وجعلتم فعلكم في قطع الغلفة (٢) أصوب مما خلق الله لها، وعبتم الأغلف والله خلقه، ومدحتم الختان وهو فعلكم، أم تقولون إن ذلك من الله كان خطأ غير حكمة؟!
قال (عليه السلام): ذلك من الله حكمة وصواب، غير أنه سن ذلك وأوجبه على خلقه، كما أن المولود إذا خرج من بطن أمه وجدنا سرته متصلة بسرة أمه، كذلك خلقها الحكيم فأمر العباد بقطعها، وفي تركها فساد بين للمولود

---

(١) في المصدر: " عزلا "، تصحيف صوابه ما أثبتناه. والغرل: جمع أغرل، وهو ما كان فيه غرلة، وهي جلدة الصبي التي تقطع في الختان.
(٢) الغلفة أو القلفة: الجلدة التي يقطعها الخاتن من ذكر الصبي.

والأم، وكذلك أظفار الإنسان: أمر إذا طالت أن تقلم، وكان قادرا يوم دبر خلق الإنسان أن يخلقها خلقة لا تطول، وكذلك الشعر في الشارب والرأس يطول فيجز، وكذلك الثيران خلقها الله فحولة وإخصاؤها أوفق، وليس في ذلك عيب في تقدير الله عز وجل.

قال الزنديق: ألست تقول: يقول الله تعالى: * (ادعوني أستجب لكم) * (١) وقد نرى المضطر يدعوه فلا يجاب له، والمظلوم يستنصره على عدوه فلا ينصره؟

قال (عليه السلام): ويحك! ما يدعوه أحد إلا استجاب له، أما الظالم: فدعاؤه مردود إلى أن يتوب إليه، وأما المحق: فإنه إذا دعاه استجاب له، وصرف عنه البلاء من حيث لا يعلمه، أو ادخر له ثوابا جزيلا ليوم حاجته إليه، وإن لم يكن الأمر الذي سأل العبد خيرا له إن أعطاه، أمسك عنه، والمؤمن العارف بالله ربما عز عليه أن يدعوه فيما لا يدري أصواب ذلك أم خطأ، وقد يسأل العبد ربه هلاك من لم تنقطع مدته أو يسأل المطر وقتا ولعله أوان لا يصلح فيه

---

(١) غافر: ٦٠.

المطر، لأنه أعرف بتدبير ما خلق من خلقه، وأشباه ذلك كثيرة، فافهم هذا.

قال الزنديق: أخبرني أيها الحكيم، ما بال السماء لا ينزل منها إلى الأرض أحد، ولا يصعد من الأرض إليها بشر، ولا طريق إليها ولا مسلك، فلو نظر العباد في كل دهر مرة من يصعد إليها وينزل، لكان ذلك أثبت في الربوبية، وأنفى للشك وأقوى لليقين، وأجدر أن يعلم العباد أن هناك مدبرا إليه يصعد الصاعد، ومن عنده يهبط الهابط؟!

قال (عليه السلام): إن كل ما ترى في الأرض من التدبير إنما هو ينزل من السماء، ومنها يظهر، أما ترى الشمس منها تطلع وهي نور النهار وفيها قوام الدنيا، ولو حبست حار من عليها وهلك، والقمر منها يطلع وهو نور الليل، وبه يعلم عدد السنين والحساب والشهور والأيام، ولو حبس لحار من عليها وفسد التدبير؟ وفي السماء النجوم التي يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، ومن السماء ينزل الغيث الذي فيه حياة كل شئ من الزرع والنبات والأنعام، وكل الخلق لو حبس عنهم لما عاشوا، والريح لو

حبست لفسدت الأشياء جميعا وتغيرت، ثم الغيم والرعد والبرق والصواعق، كل ذلك إنما هو دليل على أن هناك مدبرا يدبر كل شئ ومن عنده ينزل، وقد كلم الله موسى وناجاه، ورفع الله عيسى بن مريم، والملائكة تنزل من عنده، غير أنك لا تؤمن بما لم تره بعينك، وفيما تراه بعينك كفاية إن تفهم وتعقل.

قال الزنديق: فلو أن الله رد إلينا من الأموات في كل مائة عام واحدا لنسأله عمن مضى منا، إلى ما صاروا وكيف حالهم، وماذا لقوا بعد الموت، وأي شئ صنع بهم، لعمل الناس على اليقين، واضمحل الشك وذهب الغل عن القلوب.

قال (عليه السلام): إن هذه مقالة من أنكر الرسل وكذبهم، ولم يصدق بما جاءوا به من عند الله، إذ أخبروا وقالوا: إن الله أخبر في كتابه عز وجل على لسان أنبيائه حال من مات منا، أفيكون أحد أصدق من الله قولا ومن رسله.

وقد رجع إلى الدنيا مما مات خلق كثير، منهم: أصحاب الكهف، أماتهم الله ثلاثمائة عام وتسعة، ثم بعثهم في زمان قوم أنكروا البعث ليقطع حجتهم وليريهم

قدرته وليعلموا أن البعث حق.
وأمات الله (أرميا) النبي (عليه السلام) الذي نظر إلى خراب بيت المقدس وما حوله حين غزاهم بخت نصر وقال: * (أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مئة عام) * ثم أحياه ونظر إلى أعضائه كيف تلتئم، وكيف تلبس اللحم، وإلى مفاصله وعروقه كيف توصل، فلما استوى قاعدا قال: * (أعلم أن الله على كل شئ قدير) *.
وأحيا الله قوما خرجوا عن أوطانهم هاربين من الطاعون لا يحصى عددهم، وأماتهم الله دهرا طويلا حتى بليت عظامهم وتقطعت أوصالهم وصاروا ترابا، بعث الله - في وقت أحب أن يرى خلقه قدرته - نبيا يقال له: " حزقيل " فدعاهم فاجتمعت أبدانهم، ورجعت فيهم أرواحهم، وقاموا كهيئة يوم ماتوا، لا يفقدون من أعدادهم رجلا، فعاشوا بعد ذلك دهرا طويلا.
وإن الله أمات قوما خرجوا مع موسى (عليه السلام) حين توجه إلى الله فقالوا: * (أرنا الله جهرة) *، فأماتهم الله ثم أحياهم.
قال الزنديق: فأخبرني عمن قال بتناسخ الأرواح،

من أي شئ قالوا ذلك، وبأي حجة قاموا على مذاهبهم؟
قال (عليه السلام): إن أصحاب التناسخ قد خلفوا وراءهم منهاج الدين، وزينوا لأنفسهم الضلالات، وأمرجوا أنفسهم (١) في الشهوات وزعموا أن السماء خاوية ما فيها شئ مما يوصف، وأن مدبر هذا العالم في صورة المخلوقين، بحجة من روى أن الله عز وجل خلق آدم على صورته، وأنه لا جنة ولا نار، ولا بعث ولا نشور، والقيامة عندهم خروج الروح من قالبه وولوجه في قالب آخر، فإن كان محسنا في القالب الأول أعيد في قالب أفضل منه حسنا في أعلى درجة من الدنيا،
وإن كان مسيئا أو غير عارف صار في الدواب المتعبة في الدنيا، أو هوام مشوهة الخلقة وليس عليهم صوم ولا صلاة، ولا شئ من العبادة أكثر من معرفة من تجب عليهم معرفته، وكل شئ من شهوات الدنيا مباح لهم: من فروج النساء وغير ذلك من الأخوات والبنات والخالات وذوات البعولة.

---

(١) أي خلوها وتركوها.

وكذلك الميتة والخمر والدم، فاستقبح مقالتهم كل الفرق، ولعنهم كل الأمم، فلما سئلوا الحجة زاغوا وحادوا، فكذب مقالتهم التوراة، ولعنهم الفرقان، وزعموا مع ذلك أن إلههم ينتقل من قالب إلى قالب، وأن الأرواح الأزلية هي التي كانت في آدم، ثم هلم جرا تجري إلى يومنا هذا في واحد بعد آخر، فإذا كان الخالق في صورة المخلوق فبما يستدل على أن أحدهما خالق صاحبه؟!

وقالوا: إن الملائكة من ولد آدم كل من صار في أعلى درجة من دينهم خرج من منزلة الامتحان والتصفية فهو ملك، فطورا تخالهم نصارى في أشياء، وطورا دهرية يقولون: إن الأشياء على غير الحقيقة، فقد كان يجب عليهم أن لا يأكلوا شيئا من اللحمان، لأن الذرات عندهم كلها من ولد آدم حولوا من صورهم، فلا يجوز أكل لحوم القربات.

قال الزنديق: ومن زعم أن الله لم يزل ومعه طينة مؤذية، فلم يستطع التفصي منها (١) إلا بامتزاجه بها

---

(١) التفصي: التخلص، وتفصى عن الشئ: بان عنه.

ودخوله فيها، فمن تلك الطينة خلق الأشياء!!
قال (عليه السلام): سبحان الله تعالى!! ما أعجز إلها يوصف بالقدرة، لا يستطيع التفصي من الطينة! إن كانت الطينة حية أزلية، فكانا إلهين قديمين فامتزجا ودبرا العالم من أنفسهم، فإن كان ذلك كذلك، فمن أين جاء الموت والفناء؟ وإن كانت الطينة ميتة فلا بقاء للميت مع الأزلي القديم، والميت لا يجئ منه حي.
وهذه مقالة الديصانية، أشد الزنادقة قولا وأمهنهم مثلا، نظروا في كتب قد صنفها أوائلهم، وحبروها بألفاظ مزخرفة من غير أصل ثابت، ولا حجة توجب إثبات ما ادعوا، كل ذلك خلافا على الله وعلى رسله بما جاءوا عن الله.
فأما من زعم أن الأبدان ظلمة، والأرواح نور، وأن النور لا يعمل الشر، والظلمة لا تعمل الخير، فلا يجب عليهم أن يلوموا أحدا على معصية ولا ركوب حرمة ولا إتيان فاحشة، وإن ذلك عن الظلمة غير مستنكر، لأن ذلك فعلها ولا له أن يدعو ربا، ولا يتضرع إليه، لأن النور الرب، والرب لا يتضرع إلى نفسه ولا يستعبد بغيره، ولا

لأحد من أهل هذه المقالة أن يقول: أحسنت يا محسن، أو: أسأت، لأن الإساءة من فعل الظلمة وذلك فعلها، والإحسان من النور، ولا يقول النور لنفسه أحسنت يا محسن، وليس هناك ثالث، وكانت الظلمة على قياس قولهم، أحكم فعلا، وأتقن تدبيرا، وأعز أركانا من النور، لأن الأبدان محكمة، فمن صور هذا الخلق صورة واحدة على نعوت مختلفة؟

وكل شئ يرى ظاهرا من الزهر والأشجار والثمار والطير والدواب يجب أن يكون إلها، ثم حبست النور في حبسها والدولة لها، وأما ما ادعوا بأن العاقبة سوف تكون للنور، فدعوى، وينبغي على قياس قولهم أن لا يكون للنور فعل، لأنه أسير، وليس له سلطان، فلا فعل له ولا تدبير، وإن كان له مع الظلمة تدبير، فما هو بأسير بل هو مطلق عزيز، فإن لم يكن كذلك وكان أسير الظلمة، فإنه يظهر في هذا العالم إحسان وجامع فساد وشر، فهذا يدل على أن الظلمة تحسن الخير وتفعله، وكما تحسن الشر وتفعله، فإن قالوا محال ذلك، فلا نور يثبت ولا ظلمة، وبطلت دعواهم، ورجع الأمر إلى أن الله واحد وما سواه

باطل، فهذه مقالة ماني الزنديق وأصحابه.
وأما من قال: النور والظلمة بينهما حكم، فلا بد من أن يكون أكبر الثلاثة الحكم، لأنه لا يحتاج إلى الحاكم إلا مغلوب أو جاهل أو مظلوم، وهذه مقالة المانوية، والحكاية عنهم تطول.
قال الزنديق: فما قصة ماني؟
قال (عليه السلام): متفحص أخذ بعض المجوسية فشابها ببعض النصرانية، فأخطأ الملتين ولم يصب مذهبا واحدا منهما، وزعم أن العالم دبر من إلهين، نور وظلمة، وأن النور في حصار من الظلمة على ما حكينا منه، فكذبته النصارى، وقبلته المجوس.
قال الزنديق: فأخبرني عن المجوس أفبعث الله إليهم نبيا؟ فإني أجد لهم كتبا محكمة ومواعظ بليغة، وأمثالا شافية، يقرون بالثواب والعقاب، ولهم شرائع يعملون بها.
قال (عليه السلام): ما من أمة إلا خلا فيها نذير، وقد بعث إليهم نبي بكتاب من عند الله، فأنكروه وجحدوا كتابه.
قال الزنديق: ومن هو؟ فإن الناس يزعمون أنه

خالد بن سنان.
قال (عليه السلام): إن خالدا كان عربيا بدويا، ما كان نبيا، وإنما ذلك شئ يقوله الناس.
قال الزنديق: أفزردشت؟
قال (عليه السلام): إن زردشت أتاهم بزمزمة، وادعى النبوة، فآمن منهم قوم وجحده قوم، فأخرجوه فأكلته السباع في برية من الأرض.
قال الزنديق: فأخبرني عن المجوس كانوا أقرب إلى الصواب في دهرهم، أم العرب؟
قال (عليه السلام): العرب في الجاهلية كانت أقرب إلى الدين الحنيفي من المجوس، وذلك أن المجوس كفرت بكل الأنبياء وجحدت كتبهم، وأنكرت براهينهم ولم تأخذ بشئ من سنتهم وآثارهم، وإن كيخسرو ملك المجوس في الدهر الأول قتل ثلاثمائة نبي، وكانت المجوس لا تغتسل من الجنابة، والعرب كانت تغتسل، والاغتسال من خالص شرايع الحنيفية، وكانت المجوس لا تختن وهو من سنن الأنبياء، وأول من فعل ذلك إبراهيم خليل الله، وكانت المجوس لا تغسل موتاها ولا تكفنها، وكانت

العرب تفعل ذلك، وكانت المجوس ترمي الموتى في الصحارى والنواويس والعرب تواريها في قبورها وتلحدها، وكذلك السنة على الرسل، إن أول من حفر له قبر آدم أبو البشر، والحد له لحد، وكانت المجوس تأتي الأمهات وتنكح البنات والأخوات، وحرمت ذلك العرب، وأنكرت المجوس بيت الله الحرام وسمته بيت الشيطان، والعرب كانت تحجه وتعظمه، وتقول: بيت ربنا، وتقر بالتوراة والإنجيل، وتسأل أهل الكتب وتأخذ، وكانت العرب في كل الأسباب أقرب إلى دين الحنيفية من المجوس.

قال الزنديق: فإنهم احتجوا بإتيان الأخوات أنها سنة من آدم.

قال (عليه السلام): فما حجتهم في إتيان البنات والأمهات وقد حرم ذلك آدم، وكذلك نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وسائر الأنبياء، وكل ما جاء عن الله عز وجل.

قال الزنديق: ولم حرم الله الخمر ولا لذة أفضل منها؟

قال (عليه السلام): حرمها لأنها أم الخبائث، ورأس كل

شر، يأتي على شاربها ساعة يسلب لبه، ولا يعرف ربه، ولا يترك معصية إلا ركبها، ولا حرمة إلا انتهكها، ولا رحم ماسة إلا قطعها، ولا فاحشة إلا أتاها، والسكران زمامه بيد الشيطان، إن أمره أن يسجد للشيطان سجد، وينقاد حيث ما قاده.

قال الزنديق: فلم حرم الدم المسفوح؟

قال (عليه السلام): لأنه يورث القساوة، ويسلب الفؤاد رحمته، ويعفن البدن، ويغير اللون، وأكثر ما يصيب الإنسان الجذام يكون من أكل الدم.

قال الزنديق: فأكل الغدد؟

قال (عليه السلام): يورث الجذام.

قال الزنديق: فالميتة لم حرمها؟

قال (عليه السلام): فرقا بينها وبين ما يذكى ويذكر اسم الله عليه، والميتة قد جمد فيها الدم وتراجع إلى بدنها، فلحمها ثقيل غير مرئ لأنها يؤكل لحمها بدمها.

قال الزنديق: فالسمك ميتة؟

قال (عليه السلام): إن السمك ذكاته إخراجه حيا من الماء، ثم يترك حتى يموت من ذات نفسه، وذلك أنه ليس له دم، وكذلك الجراد.

قال الزنديق: فلم حرم الزنا؟
قال (عليه السلام): لما فيه من الفساد وذهاب المواريث وانقطاع الأنساب، لا تعلم المرأة في الزنا من أحبلها، ولا المولود يعلم من أبوه، ولا أرحام موصولة، ولا قرابة معروفة.
قال الزنديق: فلم حرم اللواط؟
قال (عليه السلام): من أجل أنه لو كان إتيان الغلام حلالا لاستغنى الرجال من النساء، وكان فيه قطع النسل، وتعطيل الفروج، وكان في إجازة ذلك فساد كثير.
قال الزنديق: فلم حرم إتيان البهيمة؟
قال (عليه السلام): كره أن يضيع الرجل ماءه ويأتي غير شكله، ولو أباح ذلك لربط كل رجل أتانا (١) يركب ظهرها ويغشى فرجها، وكان يكون في ذلك فساد كثير فأباح ظهورها وحرم عليهم فروجها، وخلق للرجال النساء ليأنسوا بهن ويسكنوا إليهن، ويكن مواضع لشهواتهم وأمهات أولادهم.

---

(١) الأتان: الحمارة.

قال الزنديق: فما علة الغسل من الجنابة، وإن ما أتى حلالا وليس في الحلال تدنيس؟

قال (عليه السلام): إن الجنابة بمنزلة الحيض، وذلك أن النطفة دم لم يستحكم، ولا يكون الجماع إلا بحركة شديدة وشهوة عالية، فإذا فرغ تنفس البدن ووجد الرجل من نفسه رائحة كريهة، فوجب الغسل لذلك، وغسل الجنابة مع ذلك أمانة ائتمن الله عليها عبيده ليختبرهم بها.

قال الزنديق: أيها الحكيم، فما تقول في من زعم أن هذا التدبير الذي يظهر في العالم تدبير النجوم السبعة؟

قال (عليه السلام): يحتاجون إلى دليل، أن هذا العالم الأكبر والعالم الأصغر من تدبير النجوم التي تسبح في الفلك، وتدور حيث دارت متعبة لا تفتر، وسائرة لا تقف.

ثم قال: وإن لكل نجم منها موكل مدبر، فهي بمنزلة العبيد المأمورين المنهيين، فلو كانت قديمة أزلية لم تتغير من حال إلى حال.

قال الزنديق: فمن قال بالطبائع؟

قال (عليه السلام): القدرية، فذلك قول من لم يملك البقاء ولا صرف الحوادث، وغيرته الأيام والليالي، لا يرد

الهرم، ولا يدفع الأجل، ما يدري ما يصنع به.
قال الزنديق: فأخبرني عمن يزعم أن الخلق لم يزل يتناسلون ويتوالدون ويذهب قرن ويجئ قرن وتفنيهم الأمراض والأعراض وصنوف الآفات، ويخبرك الآخر عن الأول، وينبئك الخلف عن السلف، والقرون عن القرون، إنهم وجدوا الخلق على هذا الوصف بمنزلة الشجر والنبات، في كل دهر يخرج منه حكيم عليم بمصلحة الناس، بصير بتأليف الكلام، ويصنف كتابا قد حبره بفطنته، وحسنه بحكمته، قد جعله حاجزا بين الناس، يأمرهم بالخير ويحثهم عليه، وينهاهم عن السوء والفساد ويزجرهم عنه، لئلا يتهارشوا، ولا يقتل بعضهم بعضا؟
قال (عليه السلام): ويحك! إن من خرج من بطن أمه أمس، ويرحل عن الدنيا غدا، لا علم له بما كان قبله ولا ما يكون بعده، ثم إنه لا يخلو الإنسان من أن يكون خلق نفسه أو خلقه غيره، أو لم يزل موجودا، فما ليس بشئ ليس يقدر أن يخلق شيئا وهو ليس بشئ، وكذلك ما لم يكن فيكون شيئا، يسأل فلا يعلم كيف كان ابتداؤه، ولو

كان الإنسان أزليا لم تحدث فيه الحوادث، لأن الأزلي لا تغيره الأيام، ولا يأتي عليه الفناء، مع أنا لم نجد بناء من غير بان، ولا أثرا من غير مؤثر، ولا تأليفا من غير مؤلف، فمن زعم أن أباه خلقه، قيل: فمن خلق أباه؟ ولو أن الأب هو الذي خلق ابنه لخلقه على شهوته، وصوره على محبته لملك حياته، ولجاز فيه حكمه، ولكنه إن مرض فلم ينفعه، وإن مات فعجز عن رده، إن من استطاع أن يخلق خلقا وينفخ فيه روحا حتى يمشي على رجليه سويا، يقدر أن يدفع عنه الفساد.

قال الزنديق: فما تقول في علم النجوم؟

قال (عليه السلام): هو علم قلت منافعه، وكثرت مضراته، لأنه لا يدفع به المقدور، ولا يتقى به المحذور، إن المنجم بالبلاء لم ينجه التحرز من القضاء، إن أخبر هو بخير لم يستطع تعجيله، وإن حدث به سوء لم يمكنه صرفه، والمنجم يضاد الله في علمه، بزعمه أن يرد قضاء الله عن خلقه.

قال الزنديق: فالرسول أفضل أم الملك المرسل إليه؟

قال (عليه السلام): بل الرسول أفضل.
قال الزنديق: فما علة الملائكة الموكلين بعباده، يكتبون عليهم ولهم، والله عالم السر وما هو أخفى؟
قال (عليه السلام): استعبدهم بذلك وجعلهم شهودا على خلقه، ليكون العباد لملازمتهم إياهم أشد على طاعة الله مواظبة، وعن معصيته أشد انقباضا، وكم من عبد يهم بمعصيته فذكر مكانهما فارعوى وكف، فيقول ربي يراني، وحفظتي علي بذلك تشهد، وإن الله برأفته ولطفه أيضا وكلهم بعباده، يذبون عنهم مردة الشيطان وهوام الأرض، وآفات كثيرة من حيث لا يرون بإذن الله إلى أن يجئ أمر الله.
قال الزنديق: فخلق الخلق للرحمة أم للعذاب؟
قال (عليه السلام): خلقهم للرحمة، وكان في علمه قبل خلقه إياهم أن قوما منهم يصيرون إلى عذابه بأعمالهم الردية وجحدهم به.
قال الزنديق: يعذب من أنكر فاستوجب عذابه بإنكاره، فبم يعذب من وجده وعرفه؟
قال (عليه السلام): يعذب المنكر لإلهيته عذاب الأبد،

ويعذب المقر به عذاب عقوبة لمعصيته إياه فيما فرض عليه، ثم يخرج، ولا يظلم ربك أحدا.
قال الزنديق: فبين الكفر والإيمان منزلة؟
قال (عليه السلام): لا.
قال الزنديق: فما الإيمان؟ وما الكفر؟
قال (عليه السلام): الإيمان: أن يصدق الله فيما غاب عنه من عظمة الله، كتصديقه بما شاهد من ذلك وعاين.
والكفر: الجحود.
قال الزنديق: فما الشرك؟ وما الشك؟
قال (عليه السلام): الشرك هو أن يضم إلى الواحد الذي ليس كمثله شئ آخر. والشك: ما لم يعتقد قلبه شيئا.
قال الزنديق: أفيكون العالم جاهلا؟
قال (عليه السلام): عالم بما يعلم، وجاهل بما يجهل.
قال الزنديق: فما السعادة؟ وما الشقاوة؟
قال (عليه السلام): السعادة: سبب الخير، تمسك به السعيد فيجره إلى النجاة، والشقاوة: سبب خذلان، تمسك به الشقي فيجره إلى الهلكة، وكل بعلم الله.
قال الزنديق: أخبرني عن السراج إذا انطفأ، أين يذهب نوره؟

قال (عليه السلام): يذهب فلا يعود.
قال الزنديق: فما أنكرت أن يكون الإنسان مثل ذلك، إذا مات وفارق الروح البدن لم يرجع إليه أبدا، كما لا يرجع ضوء السراج إليه أبدا إذا انطفأ؟
قال (عليه السلام): لم تصب القياس، إن النار في الأجسام كامنة، والأجسام قائمة بأعيانها كالحجر والحديد، فإذا ضرب أحدهما بالآخر سقطت من بينهما نار، تقتبس منها سراج له ضوء، فالنار ثابت في أجسامها والضوء ذاهب.
والروح: جسم رقيق قد البس قالبا كثيفا، وليس بمنزلة السراج الذي ذكرت، إن الذي خلق في الرحم جنينا من ماء صاف، وركب فيه ضروبا مختلفة، من عروق وعصب وأسنان وشعر وعظام وغير ذلك، فهو يحييه بعد موته، ويعيده بعد فنائه.
قال الزنديق: فأين الروح؟
قال (عليه السلام): في بطن الأرض حيث مصرع البدن إلى وقت البعث.
قال الزنديق: فمن صلب فأين روحه؟
قال (عليه السلام): في كف الملك الذي قبضها حتى يودعها الأرض.

قال الزنديق: فأخبرني عن الروح أغير الدم؟
قال (عليه السلام): نعم، الروح على ما وصفت لك: مادتها من الدم، ومن الدم رطوبة الجسم وصفاء اللون وحسن الصوت وكثرة الضحك، فإذا جمد الدم فارق الروح البدن.
قال الزنديق: فهل يوصف بخفة وثقل ووزن؟
قال (عليه السلام): الروح بمنزلة الريح في الزق، إذا نفخت فيه امتلأ الزق منها، فلا يزيد في وزن الزق ولوجها فيه، ولا ينقصها خروجها منه، كذلك الروح ليس لها ثقل ولا وزن.
قال الزنديق: فأخبرني ما جوهر الريح؟
قال (عليه السلام): الريح هواء إذا تحرك يسمى ريحا، فإذا سكن يسمى هواء، وبه قوام الدنيا، ولو كفت الريح ثلاثة أيام لفسد كل شئ على وجه الأرض ونتن، وذلك أن الريح بمنزلة المروحة، تذب وتدفع الفساد عن كل شئ وتطيبه، فهي بمنزلة الروح إذا خرج عن البدن نتن البدن وتغير، وتبارك الله أحسن الخالقين.
قال الزنديق: أفتتلاشى الروح بعد خروجه عن قالبه أم هو باق؟

قال (عليه السلام): بل هو باق إلى وقت ينفخ في الصور، فعند ذلك تبطل الأشياء وتفنى، فلا حس ولا محسوس، ثم أعيدت الأشياء كما بدأها مدبرها، وذلك أربعمائة سنة يسبت فيها الخلق وذلك بين النفختين.

قال الزنديق: وأنى له بالبعث والبدن قد بلي، والأعضاء قد تفرقت، فعضو ببلدة يأكلها سباعها، وعضو بأخرى تمزقه هوامها، وعضو صار ترابا بني مع الطين حائط؟!!

قال (عليه السلام): إن الذي أنشأه من غير شئ، وصوره على غير مثال كان سبق إليه، قادر أن يعيده كما بدأه.

قال الزنديق: أوضح لي ذلك!

قال (عليه السلام): إن الروح مقيمة في مكانها، روح المحسن في ضياء وفسحة، وروح المسئ في ضيق وظلمة، والبدن يصير ترابا كما منه الخلق، وما تقذف به السباع والهوام من أجوافها مما أكلته ومزقته كل ذلك في التراب، محفوظ عند من لا يعزب عنه مثقال ذرة في ظلمات الأرض، ويعلم عدد الأشياء ووزنها، وإن تراب الروحانيين بمنزلة الذهب في التراب، فإذا كان حين

البعث مطرت الأرض مطر النشور، فتربو الأرض ثم تمخضوا مخض السقاء، فيصير تراب البشر كمصير الذهب من التراب إذا غسل بالماء، والزبد من اللبن إذا مخض، فيجتمع تراب كل قالب إلى قالبه، فينتقل بإذن الله القادر إلى حيث الروح، فتعود الصور بإذن المصور كهيئتها، وتلج الروح فيها، فإذا قد استوى لا ينكر من نفسه شيئا.

قال الزنديق: فأخبرني عن الناس يحشرون يوم القيامة عراة؟

قال (عليه السلام): بل يحشرون في أكفانهم.

قال الزنديق: أنى لهم بالأكفان وقد بليت؟

قال (عليه السلام): إن الذي أحيا أبدانهم جدد أكفانهم.

قال الزنديق: فمن مات بلا كفن؟

قال (عليه السلام): يستر الله عورته بما يشاء من عنده.

قال الزنديق: أفيعرضون صفوفا؟

قال (عليه السلام): نعم، هم يومئذ عشرون ومائة ألف صف في عرض الأرض.

قال الزنديق: أوليس توزن الأعمال؟

قال (عليه السلام): لا، إن الأعمال ليست بأجسام، وإنما

هي صفة ما عملوا، وإنما يحتاج إلى وزن شئ من جهل عدد الأشياء، ولا يعرف ثقلها أو خفتها، وإن الله لا يخفى عليه شئ.

قال الزنديق: فما معنى الميزان؟

قال (عليه السلام): العدل.

قال الزنديق: فما معناه في كتابه: * (فمن ثقلت موازينه) * (١)؟

قال (عليه السلام): فمن رجح عمله.

قال الزنديق: فأخبرني أوليس في النار مقتنع أن يعذب خلقه بها دون الحيات والعقارب؟

قال (عليه السلام): إنما يعذب بها قوما زعموا أنها ليست من خلقه، إنما شريكه الذي يخلقه، فيسلط الله عليهم العقارب والحيات في النار ليذيقهم بها وبال ما كذبوا عليه فجحدوا أن يكون صنعه.

قال الزنديق: فمن أين قالوا: " إن أهل الجنة يأتي الرجل منهم إلى ثمرة يتناولها، فإذا أكلها عادت كهيئتها "؟

---

(١) الأعراف: ٨.

قال (عليه السلام): نعم، ذلك على قياس السراج، يأتي القابس فيقتبس عنه، فلا ينقص من ضوئه شيئا، وقد امتلأت الدنيا منه سراجا.

قال الزنديق: أليسوا يأكلون ويشربون، وتزعم أنه لا يكون لهم الحاجة؟

قال (عليه السلام): بلى، لأن غذاءهم رقيق لا ثقل له، بل يخرج من أجسادهم بالعرق.

قال الزنديق: فكيف تكون الحوراء في جميع ما أتاها زوجها عذراء؟

قال (عليه السلام): لأنها خلقت من الطيب لا يعتريها عاهة، ولا يخالط جسمها آفة، ولا يجري في ثقبها شئ، ولا يدنسها حيض، فالرحم ملتزقة ملدم (١)، إذ ليس فيها لسوى الإحليل مجرى.

قال الزنديق: فهي تلبس سبعين حلة، ويرى زوجها مخ ساقها من وراء حللها وبدنها؟

قال (عليه السلام): نعم، كما يرى أحدكم الدراهم إذا ألقيت

---

(١) أي كثيرة اللحم.

في ماء صاف قدره قدر رمح.
قال الزنديق: فكيف تنعم أهل الجنة بما فيه من النعيم، وما منهم أحد إلا وقد فقد ابنه وأباه أو حميمه أو أمه، فإذا افتقدوهم في الجنة لم يشكوا في مصيرهم إلى النار، فما يصنع بالنعيم من يعلم أن حميمه في النار ويعذب؟
قال (عليه السلام): إن أهل العلم قالوا: إنهم ينسون ذكرهم.
وقال: بعضهم انتظروا قدومهم، ورجوا أن يكونوا بين الجنة والنار في أصحاب الأعراف (١).
٤ - مناظرة اليماني في النجوم
وعن أبان بن تغلب أنه قال: كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) إذ دخل عليه رجل من أهل اليمن، فسلم عليه فرد عليه أبو عبد الله، فقال له: مرحبا يا سعد!
فقال الرجل: بهذا الاسم سمتني أمي، وما أقل من يعرفني

---

(١) الاحتجاج: ٣٣٦.

به. فقال له أبو عبد الله: صدقت يا سعد المولى. فقال الرجل: جعلت فداك، بهذا اللقب كنت القب. فقال أبو عبد الله (عليه السلام): لا خير في اللقب، إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: * (ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان) * (١). ما صناعتك يا سعد؟

قال: جعلت فداك! إنا أهل بيت ننظر في النجوم، لا يقال إن باليمن أحدا أعلم بالنجوم منا.

فقال أبو عبد الله (عليه السلام): كم يزيد ضوء الشمس على ضوء القمر درجة؟ قال اليماني: لا أدري.

فقال (عليه السلام): صدقت، فقال: فكم ضوء القمر يزيد على ضوء المشتري درجة؟ قال اليماني: لا أدري.

فقال أبو عبد الله (عليه السلام): صدقت. قال: فكم ضوء عطارد يزيد درجة على ضوء الزهرة؟ قال اليماني: لا أدري.

قال أبو عبد الله (عليه السلام): صدقت. قال: فما اسم النجم الذي إذا طلع هاجت الإبل؟ فقال اليماني: لا أدري.

---

(١) الحجرات: ١١.

فقال له أبو عبد الله (عليه السلام): صدقت. قال: فما اسم النجم الذي إذا طلع هاجت البقر؟ فقال اليماني: لا أدري.
فقال له أبو عبد الله (عليه السلام): صدقت. قال: فما اسم النجم الذي إذا طلع هاجت الكلاب؟ فقال اليماني: لا أدري.
فقال له أبو عبد الله (عليه السلام): صدقت في قولك لا أدري، فما زحل عندكم في النجوم؟ فقال اليماني: نجم نحس.
فقال أبو عبد الله (عليه السلام): لا تقل هذا، فإنه نجم أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وهو نجم الأوصياء (عليهم السلام)، وهو النجم الثاقب الذي قال الله تعالى في كتابه: * (والسماء والطارق * وما أدراك ما الطارق * النجم الثاقب) * (١).
فقال اليماني: فما معنى الثاقب؟
فقال (عليه السلام): إن مطلعه في السماء السابعة، فإنه ثقب بضوئه حتى أضاء في السماء الدنيا، فمن ثم سماه الله

---

(١) الطارق: ١ - ٣.

النجم الثاقب. ثم قال: يا أخا العرب، أعندكم عالم؟
فقال اليماني: جعلت فداك، إن باليمن قوما ليسوا كأحد من الناس في علمهم.
فقال أبو عبد الله (عليه السلام): وما يبلغ من علم عالمهم؟
فقال اليماني: إن عالمهم ليزجر الطير، ويقفو الأثر في ساعة واحدة مسيرة شهر للراكب المحث.
فقال أبو عبد الله (عليه السلام): فإن عالم المدينة أعلم من عالم اليمن.
قال اليماني: وما يبلغ علم عالم المدينة؟
قال: إن علم عالم المدينة ينتهي إلى أن لا يقفو الأثر، ولا يزجر الطير، ويعلم ما في اللحظة الواحدة مسيرة الشمس، تقطع اثني عشر برجا، واثني عشر برا، واثني عشر بحرا، واثني عشر عالما.
فقال له اليماني: ما ظننت أن أحدا يعلم هذا، وما يدري ما كنهه!
قال: ثم قام اليماني وخرج (١).

---

(١) الاحتجاج: ٣٥٢.

٥ - مناظرة ابن أبي ليلى في القضاء

وعن سعيد بن أبي الخضيب (١) قال: دخلت أنا وابن أبي ليلى المدينة، فبينما نحن في مسجد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ دخل جعفر بن محمد (عليه السلام)، فقمنا إليه، فسألني عن نفسي وأهلي ثم قال: من هذا معك؟ فقلت: ابن أبي ليلى قاضي المسلمين!

فقال: نعم. ثم قال (عليه السلام) له: أتأخذ مال هذا فتعطيه هذا، وتفرق بين المرء وزوجه، ولا تخاف في هذا أحدا؟

قال: نعم.

قال (عليه السلام): فبأي شئ تقضي؟ قال: بما بلغني عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعن أبي بكر وعمر.

قال (عليه السلام): فبلغك أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: " أقضاكم علي بعدي "؟ قال: نعم.

---

(١) سعيد بن أبي الخضيب البجلي: عده الشيخ في رجاله: ٢٠٥ من أصحاب الصادق (عليه السلام).

قال (عليه السلام): فكيف تقضي بغير قضاء علي (عليه السلام) وقد بلغك هذا؟!
قال: فاصفر وجه ابن أبي ليلى. ثم قال: التمس مثلا لنفسك، فوالله لا أكلمك من رأسي كلمة أبدا (١).
٦ - مناظرة ابن جريج في حديث:
" أن الله يغضب لغضب فاطمة... "
وعن الحسين بن زيد، عن جعفر الصادق (عليه السلام): أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لفاطمة (عليها السلام): " يا فاطمة، إن الله عز وجل يغضب لغضبك ويرضى لرضاك ".
قال: فقال المحدثون بها. قال: فأتاه ابن جريج (٢) فقال: يا أبا عبد الله، حدثنا اليوم حديثا استهزأه الناس.
قال (عليه السلام): وما هو؟

---

(١) الاحتجاج: ٣٥٣.
(٢) في المصدر: " ابن جريح "، تصحيف صوابه ما أثبتناه، وهو عبد الملك بن عبد العزيز ابن جريج القرشي الأموي، مات نحو سنة ١٥٠ ه، تهذيب الكمال ١٨: ٣٣٨.

قال: حديث أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لفاطمة (عليها السلام): " إن الله ليغضب لغضبك، ويرضى لرضاك ".
قال: فقال (عليه السلام): إن الله ليغضب فيما تروون لعبده المؤمن ويرضى لرضاه؟ فقال: نعم.
قال (عليه السلام): فما تنكر أن تكون ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مؤمنة، يرضى الله لرضاها، ويغضب لغضبها. قال:
صدقت، الله أعلم حيث يجعل رسالته (١).

٧ - مناظرة ابن أبي العوجاء في بعض آي القرآن الكريم

وعن حفص بن غياث، قال: شهدت المسجد الحرام وابن أبي العوجاء يسأل أبا عبد الله (عليه السلام) عن قوله تعالى: * (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) * (٢) ما ذنب الغير؟

---

(١) الاحتجاج: ٣٥٤.
(٢) النساء: ٥٦.

قال (عليه السلام): ويحك هي هي وهي غيرها!
قال الزنديق: فمثل لي ذلك شيئا من أمر الدنيا،
قال: نعم، أرأيت لو أن رجلا أخذ لبنة فكسرها، ثم ردها
في ملبنها، فهي هي وهي غيرها.
وروي أنه سأل الصادق (عليه السلام) عن قول الله عز وجل
في قصة إبراهيم (عليه السلام): * (قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم
إن كانوا ينطقون) * (١)، قال: ما فعله كبيرهم وما كذب
إبراهيم (عليه السلام). قيل: وكيف ذلك؟
فقال (عليه السلام): إنما قال إبراهيم (عليه السلام): فاسألوهم إن
كانوا ينطقون، فإن نطقوا فكبيرهم فعل، وإن لم ينطقوا
فكبيرهم لم يفعل شيئا، فما نطقوا، وما كذب
إبراهيم (عليه السلام).
فسأل عن قوله في سورة يوسف: * (أيتها العير إنكم
لسارقون) * (٢)؟
قال (عليه السلام): إنهم سرقوا يوسف من أبيه، ألا ترى أنه

---

(١) الأنبياء: ٦٣.
(٢) يوسف: ٧٠.

قال لهم: * (قالوا ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك) * (١)؟
ولم يقل سرقتم صواع الملك، إنما سرقوا يوسف من أبيه.
فسأل عن قول إبراهيم: * (فنظر نظرة في النجوم
فقال إني سقيم) * (٢)، قال: ما كان إبراهيم سقيما، وما
كذب، إنما عنى سقيما في دينه، أي مرتادا (٣).
٨ - مناظرة في معنى حديث: " اختلاف أمتي رحمة "
وعن عبد المؤمن الأنصاري قال: قلت لأبي
عبد الله (عليه السلام): إن قوما رووا أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال:
" اختلاف أمتي رحمة "؟ فقال: صدقوا.
قلت: إن كان اختلافهم رحمة، فاجتماعهم
عذاب؟
قال: ليس حيث تذهب وذهبوا، إنما أراد الله عز

---

(١) يوسف: ٧٢.
(٢) الصافات: ٨٨.
(٣) الاحتجاج: ٣٥٤.

وجل: * (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) * (١) أمرهم أن ينفروا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ويختلفوا إليه ويتعلموا ثم يرجعوا إلى قومهم فيعلموهم، إنما أراد اختلافهم في البلدان لا اختلافا في الدين، إنما الدين واحد.

وروي عنه صلوات الله عليه: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: " ما وجدتم في كتاب الله عز وجل فالعمل لكم به ولا عذر لكم في تركه، وما لم يكن في كتاب الله عز وجل وكانت في سنة مني فلا عذر لكم في ترك سنتي، وما لم يكن فيه سنة مني فما قال أصحابي فقولوا، إنما مثل أصحابي فيكم كمثل النجوم، بأيها أخذ اهتدي، وبأي أقاويل أصحابي أخذتم اهتديتم، واختلاف أصحابي لكم رحمة ".

قيل: يا رسول الله، من أصحابك؟

قال: أهل بيتي (٢).

---

(١) التوبة: ١٢٢.

(٢) الاحتجاج: ٣٥٥.

قال محمد بن الحسين بن بابويه القمي (رضي الله عنه): إن أهل البيت لا يختلفون ولكن يفتون الشيعة بمر الحق، وربما أفتوهم بالتقية فما يختلف من قولهم فهو للتقية، والتقية رحمة للشيعة، ويؤيد تأويله (رضي الله عنه) أخبار كثيرة.
منها: ما رواه محمد بن سنان، عن نصر الخثعمي، قال: سمعت أبا عبد الله يقول: من عرف من أمرنا: أن لا نقول إلا حقا، فليكتف بما يعلم منا، فإن سمع منا خلاف ما يعلم، فليعلم أن ذلك منا دفاع واختيار له.

* * *

وعن عمر بن حنظلة، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث، فتحاكما إلى السلطان أو إلى القضاة، أيحل ذلك؟
قال (عليه السلام): من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الجبت والطاغوت المنهي عنه، وما حكم له به فإنما يأخذ سحتا وإن كان حقه ثابتا له لأنه أخذه بحكم الطاغوت، ومن أمر الله عز وجل أن يكفر به، قال الله عز وجل: * (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به) *.

قلت: فكيف يصنعان وقد اختلفا؟
قال (عليه السلام): ينظران من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا، فليرضيا به حكما، فإني قد جعلته عليكم حاكما، فإذا حكم بحكم ولم يقبله منه، فإنما بحكم الله استخف وعلينا رد، والراد علينا كافر وراد على الله، وهو على حد من الشرك بالله.
قلت: فإن كان كل واحد منهما اختار رجلا من أصحابنا، فرضيا أن يكونا الناظرين في حقهما فيما حكما، فإن الحكمين اختلفا في حديثكم؟
قال (عليه السلام): إن الحكم ما حكم به أعدلهما وأفقههما وأصدقهما في الحديث وأورعهما، ولا يلتفت إلى ما حكم به الآخر.
قلت: فإنهما عدلان مرضيان، عرفا بذلك لا يفضل أحدهما صاحبه؟
قال (عليه السلام): ينظر الآن إلى ما كان من روايتهما عنا في ذلك الحكم الذي حكما، المجمع عليه بين أصحابك، فيؤخذ به من حكمهما ويترك الشاذ الذي ليس بمشهور

عند أصحابك، فإن المجمع عليه لا ريب به، وإنما الأمور ثلاث: أمر بين رشده فيتبع، وأمر بين غيه فيجتنب، وأمر مشكل يرد حكمه إلى الله عز وجل وإلى رسوله، حلال بين، وحرام بين، وشبهات تتردد بين ذلك، فمن ترك الشبهات نجا من المحرمات، ومن أخذ بالشبهات ارتكب المحرمات وهلك من حيث لا يعلم.

قلت: فإن كان الخبران عنكما مشهورين قد رواهما الثقاة عنكم؟

قال (عليه السلام): ينظر ما وافق حكمه حكم الكتاب والسنة وخالف العامة فيؤخذ به، ويترك ما خالف حكمه حكم الكتاب والسنة ووافق العامة.

قلت: جعلت فداك، أرأيت إن كان الفقيهان عرفا حكمه من الكتاب والسنة، ثم وجدنا أحد الخبرين يوافق العامة، والآخر يخالف، بأيهما نأخذ من الخبرين؟

قال (عليه السلام): ينظر إلى ما هم إليه يميلون، فإن ما خالف العامة ففيه الرشاد.

قلت: جعلت فداك! فإن وافقهم الخبران جميعا؟

قال (عليه السلام): انظروا إلى ما تميل إليه حكامهم

وقضاتهم، فاتركوا جانبا وخذوا بغيره.
قلت: فإن وافق حكامهم الخبرين جميعا؟
قال (عليه السلام): إذا كان كذلك فارجه وقف عنده، حتى تلقى إمامك، فإن الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات، والله هو المرشد.
جاء هذا الخبر على سبيل التقدير، لأنه قلما يتفق في الأثر أن يرد خبران مختلفان في حكم من الأحكام، موافقين للكتاب والسنة، وذلك مثل غسل الوجه واليدين في الوضوء لأن الأخبار جاءت بغسلهما مرة مرة، وغسلهما مرتين مرتين فظاهر القرآن لا يقتضي خلاف ذلك، بل يحتمل كلتا الروايتين، ومثل ذلك يؤخذ في أحكام الشرع.
وأما قوله (عليه السلام) - للسائل -: أرجه وقف عنده حتى تلقى إمامك، أمره بذلك عند تمكنه من الوصول إلى الإمام، فأما إذا كان غائبا ولا يتمكن من الوصول إليه، والأصحاب كلهم مجمعون على الخبرين، ولم يكن هناك رجحان لرواة أحدهما على الآخر بالكثرة والعدالة، كان الحكم بهما من باب التخيير.

يدل على ما قلنا: ما روي عن الحسن بن الجهم، عن الرضا (عليه السلام)، قال: قلت للرضا (عليه السلام): تجيئنا الأحاديث عنكم مختلفة؟

قال (عليه السلام): ما جاءك عنا فقسه على كتاب الله عز وجل وأحاديثنا، فإن كان يشبههما فهو منا وإن لم يشبههما فليس منا.

قلت: يجيئنا الرجلان، وكلاهما ثقة، بحديثين مختلفين، فلا نعلم أيهما الحق.

فقال (عليه السلام): إذا لم تعلم فموسع عليك بأيهما أخذت.

ما رواه الحرث بن المغيرة عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: إذا سمعت من أصحابك الحديث وكلهم ثقة، فموسع عليك حتى ترى القائم فترده عليه.

وروى سماعة بن مهران، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) قلت: يرد علينا حديثان، واحد يأمرنا بالأخذ به، والآخر ينهانا عنه؟

قال (عليه السلام): لا تعمل بواحد منهما حتى تلقى صاحبك فتسأله عنه.

قال: قلت: لا بد من أن نعمل بأحدهما.
قال (عليه السلام): خذ بما فيه خلاف العامة. فقد أمره (عليه السلام) بترك ما وافق العامة، لأنه يحتمل أن يكون قد ورد مورد التقية، وما خالفهم لا يحتمل ذلك.
وروي عنهم (عليهم السلام) أيضا أنهم قالوا: إذا اختلفت أحاديثنا عليكم فخذوا بما اجتمعت عليه شيعتنا، فإنه لا ريب فيه، وأمثال هذه الأخبار كثيرة لا يحتمل ذكرها هنا، وما أوردناه عارض ليس هنا موضعه.

٩ - مناظرة أبي حنيفة في القياس

وعن بشير بن يحيى العامري، عن ابن أبي ليلى،
قال: دخلت أنا والنعمان أبو حنيفة على جعفر بن محمد، فرحب بنا فقال (عليه السلام): يا ابن أبي ليلى، من هذا الرجل؟
فقلت: جعلت فداك، من أهل الكوفة، له رأي وبصيرة ونفاذ.
قال (عليه السلام): فلعله الذي يقيس الأشياء برأيه؟ ثم قال (عليه السلام): يا نعمان، هل تحسن أن تقيس رأسك؟ قال: لا.

قال (عليه السلام): ما أراك تحسن أن تقيس شيئا، فهل عرفت الملوحة في العينين، والمرارة في الأذنين، والبرودة في المنخرين، والعذوبة في الفم؟ قال: لا.
قال (عليه السلام): فهل عرفت كلمة أولها كفر وآخرها إيمان؟ قال: لا.
قال ابن أبي ليلى: قلت: جعلت فداك، لا تدعنا في عمياء مما وصفت.
قال (عليه السلام): نعم، حدثني أبي، عن آبائه (عليهم السلام)، أن رسول الله قال: إن الله خلق عيني ابن آدم من شحمتين فجعل فيهما الملوحة، فلولا ذلك لذابتا ولم يقع فيهما شئ من القذى إلا أذابه، والملوحة تلفظ ما يقع في العين من القذى، وجعل المرارة في الأذنين حجابا للدماغ، وليس من دابة تقع في الإذن إلا التمست الخروج، ولولا ذلك لوصلت إلى الدماغ فأفسدته، وجعل الله البرودة في المنخرين حجابا للدماغ، ولولا ذلك لسال الدماغ، وجعل العذوبة في الفم منا من الله تعالى على ابن آدم ليجد لذة الطعام والشراب.
وأما كلمة أولها كفر وآخرها إيمان، فقول لا إله إلا

الله. ثم قال (عليه السلام): يا نعمان، إياك والقياس، فإن أبي حدثني عن آبائه (عليهم السلام) أن رسول الله قال: من قاس شيئا من الدين برأيه قرنه الله تبارك وتعالى مع إبليس، فإنه أول من قاس حيث قال: خلقتني من نار وخلقته من طين، فدعوا الرأي والقياس، فإن دين الله لم يوضع على القياس (١).

١٠ - مناظرة أبي حنيفة في القياس والرأي

وفي رواية أخرى: أن الصادق (عليه السلام) قال لأبي حنيفة لما دخل عليه: من أنت؟ قال: أبو حنيفة.

قال (عليه السلام): مفتي أهل العراق؟ قال: نعم.

قال: بما تفتيهم؟ قال: بكتاب الله.

قال (عليه السلام): وإنك لعالم بكتاب الله، ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه؟ قال: نعم.

قال: فأخبرني عن قول الله عز وجل: * (وقدرنا

---

(١) الاحتجاج: ٣٥٨.

فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين) * (١) أي موضع هو؟
قال أبو حنيفة: هو ما بين مكة والمدينة، فالتفت
أبو عبد الله (عليه السلام) إلى جلسائه، وقال (عليه السلام): نشدتكم بالله،
هل تسيرون بين مكة والمدينة ولا تأمنون على دمائكم
من القتل، وعلى أموالكم من السرق؟ فقالوا: اللهم نعم.
فقال أبو عبد الله (عليه السلام): ويحك يا أبا حنيفة! إن الله
لا يقول إلا حقا، أخبرني عن قول الله عز وجل: * (ومن
دخله كان آمنا) * (٢)، أي موضع هو؟ قال: ذلك بيت الله
الحرام، فالتفت أبو عبد الله (عليه السلام) إلى جلسائه وقال (عليه السلام):
نشدتكم بالله هل تعلمون: أن عبد الله بن الزبير وسعيد بن
جبير دخلاه فلم يأمنا القتل؟ قالوا: اللهم نعم.
فقال أبو عبد الله (عليه السلام): ويحك يا أبا حنيفة! إن الله
لا يقول إلا حقا.
فقال أبو حنيفة: ليس لي علم بكتاب الله، إنما أنا
صاحب قياس.

---

(١) سبأ: ١٧.
(٢) آل عمران: ٩٧.

قال أبو عبد الله (عليه السلام): فانظر في قياسك – إن كنت مقيسا – أيما أعظم عند الله القتل أم الزنا؟ قال: بل القتل.
قال: فكيف رضى في القتل بشاهدين، ولم يرض في الزنا إلا بأربعة؟! ثم قال (عليه السلام) له: الصلاة أفضل أم الصيام؟ قال: بل الصلاة أفضل.
قال (عليه السلام): فيجب على قياس قولك على الحائض قضاء ما فاتها من الصلاة في حال حيضها دون الصيام، وقد أوجب الله تعالى عليها قضاء الصوم دون الصلاة.
قال له (عليه السلام): البول أقذر أم المني؟ قال: البول أقذر.
قال (عليه السلام): يجب على قياسك أن يجب الغسل من البول دون المني، وقد أوجب الله تعالى الغسل من المني دون البول.
قال: إنما أنا صاحب رأي.
قال (عليه السلام): فما ترى في رجل كان له عبد فتزوج وزوج عبده في ليلة واحدة، فدخلا بامرأتيهما في ليلة واحدة، ثم سافرا وجعلا امرأتيهما في بيت واحد، وولدتا غلامين، فسقط البيت عليهم، فقتل المرأتين وبقي

الغلامان، أيهما في رأيك المالك، وأيهما المملوك؟ وأيهما الوارث، وأيهما الموروث؟
قال: إنما أنا صاحب حدود.
قال (عليه السلام): فما ترى في رجل أعمى فقأ عين صحيح، وأقطع قطع يد رجل، كيف يقام عليهما الحد؟
قال: إنما أنا رجل عالم بمباعث الأنبياء.
قال (عليه السلام): فأخبرني عن قول الله لموسى وهارون حين بعثهما إلى فرعون: * (لعله يتذكر أو يخشى) * (١)، و " لعل " منك شك؟ قال: نعم.
قال (عليه السلام): وكذلك من الله شك إذ قال: " لعله "؟
قال أبو حنيفة: لا علم لي.
قال (عليه السلام): تزعم أنك تفتي بكتاب الله ولست ممن ورثه، وتزعم أنك صاحب قياس وأول من قاس إبليس لعنه الله ولم يبن دين الإسلام على القياس، وتزعم أنك صاحب رأي وكان الرأي من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) صوابا ومن دونه خطأ، لأن الله تعالى قال: * (فاحكم بينهم بما

---

(١) طه: ٤٤.

أراك الله) * (١) ولم يقل ذلك لغيره، وتزعم أنك صاحب حدود، ومن أنزلت عليه أولى بعلمها منك، وتزعم أنك عالم بمباعث الأنبياء، ولخاتم الأنبياء أعلم بمباعثهم منك، ولولا أن يقال: دخل على ابن رسول الله فلم يسأله عن شئ، ما سألتك عن شئ، فقس إن كنت مقيسا.

قال أبو حنيفة: لا أتكلم بالرأي والقياس في دين الله بعد هذا المجلس.

قال الإمام (عليه السلام): كلا، إن حب الرئاسة غير تاركك، كما لم يترك من كان قبلك... تمام الخبر (٢).

* * *

وعن عيسى بن عبد الله القرشي، قال: دخل أبو حنيفة على أبي عبد الله (عليه السلام) فقال: يا أبا حنيفة، قد بلغني أنك تقيس، فقال: نعم.

فقال: لا تقس، فإن أول من قاس إبليس لعنه الله حين قال: * (خلقتني من نار وخلقته من طين) *، فقاس بين

---

(١) المائدة: ٥١.

(٢) الاحتجاج: ٣٦٠.

النار والطين، ولو قاس نورية آدم بنورية النار وعرف ما بين النورين، وصفاء أحدهما على الآخر.

* * *

وعن الحسن بن محبوب، عن سماعة، قال: قال أبو حنيفة لأبي عبد الله (عليه السلام): كم بين المشرق والمغرب؟

قال: قال مسيرة يوم للشمس بل أقل من ذلك،

قال: فاستعظمه.

قال: يا عاجز، لم تنكر هذا، إن الشمس تطلع من المشرق، وتغرب في المغرب في أقل من يوم... تمام الخبر.

١١ - مناظرة بعض المعتزلة في الإمامة والعقائد

عن عبد الكريم بن عتبة الهاشمي: كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) بمكة إذ دخل عليه أناس من المعتزلة، فيهم عمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء، وحفص بن سالم وأناس من رؤسائهم، وذلك أنه حين قتل الوليد، واختلف أهل الشام بينهم، فتكلموا فأكثروا وخطبوا فأطالوا.

فقال لهم أبو عبد الله جعفر بن محمد (عليه السلام): إنكم قد أكثرتم علي فأطلتم، فأسندوا أمركم إلى رجل منكم، فليتكلم بحجتكم وليوجز. فأسندوا أمرهم إلى عمرو بن عبيد فأبلغ وأطال، فكان فيما قال أن قال:
قتل أهل الشام خليفتهم، وضرب الله بعضهم ببعض، وتشتت أمرهم، فنظرنا فوجدنا رجلا له دين وعقل ومروءة، ومعدن للخلافة، وهو محمد ابن عبد الله ابن الحسن، فأردنا أن نجتمع معه فنبايعه ثم نظهر أمرنا معه، وندعو الناس إليه، فمن بايعه كنا معه وكان منا، ومن اعتزلنا كففنا عنه، ومن نصب لنا جاهدناه ونصبنا له على بغيه ونرده إلى الحق وأهله، وقد أحببنا أن نعرض ذلك عليك، فإنه لا غنى بنا عن مثلك، لفضلك ولكثرة شيعتك.
فلما فرغ، قال أبو عبد الله (عليه السلام): أكلكم على مثل ما قال عمرو؟ قالوا: نعم، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ثم قال (عليه السلام): إنما نسخط إذا عصي الله، فإذا أطيع الله رضينا، أخبرني يا عمرو، لو أن الأمة قلدتك أمرها فملكته بغير قتال ولا مؤونة، فقيل لك: " ولها من شئت "، من كنت تولي؟

قال: كنت أجعلها شورى بين المسلمين. قال: بين كلهم؟ قال: نعم.
فقال (عليه السلام): بين فقهائهم وخيارهم؟ قال: نعم.
قال (عليه السلام): قريش وغيرهم؟ قال: العرب والعجم.
قال (عليه السلام): فأخبرني يا عمرو أتتولى أبا بكر وعمر أو تتبرأ منهما؟ قال: أتولاهما.
قال (عليه السلام): يا عمرو، إن كنت رجلا تتبرأ منهما، فإنه يجوز لك الخلاف عليهما، وإن كنت تتولاهما فقد خالفتهما، قد عهد عمر إلى أبي بكر فبايعه ولم يشاور أحدا، ثم ردها أبو بكر عليه ولم يشاور أحدا، ثم جعلها عمر شورى بين ستة، فخرج منها الأنصار غير أولئك الستة من قريش، ثم أوصى الناس فيهم بشئ ما أراك ترضى أنت ولا أصحابك. قال: وما صنع.
قال: أمر صهيبا أن يصلي بالناس ثلاثة أيام، وأن يتشاور أولئك الستة ليس فيهم أحد سواهم إلا ابن عمر ويشاورونه وليس له من الأمر شئ، وأوصى من كان بحضرته من المهاجرين والأنصار - إن مضت ثلاثة أيام ولم يفرغوا ويبايعوه - أن تضرب أعناق الستة جميعا،

وإن اجتمع أربعة قبل أن تمضي ثلاثة أيام وخالف اثنان أن تضرب أعناق الاثنين، أفترضون بهذا فيما تجعلون من الشورى بين المسلمين؟ قالوا: لا.

قال (عليه السلام): يا عمرو، دع ذا، أرأيت لو بايعت صاحبك هذا الذي تدعو إليه، ثم اجتمعت لكم الأمة ولم يختلف عليكم منها رجلان، فأفضيتم إلى المشركين الذين لم يسلموا ولم يؤدوا الجزية، كان عندكم وعند صاحبكم من العلم ما تسيرون فيهم بسيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في المشركين في الجزية؟ قالوا: نعم.

قال: فتصنعون ماذا؟ قالوا: ندعوهم إلى الإسلام، فإن أبوا دعوناهم إلى الجزية.

قال (عليه السلام): فإن كانوا مجوسا وأهل كتاب وعبدة النيران والبهائم وليسوا بأهل كتاب؟ قالوا: سواء.

قال (عليه السلام): فأخبروني عن القرآن، أتقرؤونه؟ قال: نعم.

قال (عليه السلام): إقرأ * (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد

وهم صاغرون) * (١)، قال (عليه السلام): فاستثنى الله عز وجل واشترط من الذين أوتوا الكتاب، فهم والذين لم يؤتوا الكتاب سواء؟ قال: نعم.

قال (عليه السلام): عمن أخذت هذا؟ قال: سمعت الناس يقولونه.

قال (عليه السلام): فدع ذا، فإنهم إن أبوا الجزية فقاتلتهم فظهرت عليهم، كيف تصنع بالغنيمة؟ قال: أخرج الخمس وأقسم أربعة أخماس بين من قاتل عليها.

قال (عليه السلام): تقسمه بين جميع من قاتل عليها؟ قال: نعم.

قال (عليه السلام): فقد خالفت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في فعله وفي سيرته، وبيني وبينك فقهاء أهل المدينة ومشيختهم، فسلهم فإنهم لا يختلفون ولا يتنازعون في أن رسول الله إنما صالح الأعراب على أن يدعهم في ديارهم وأن لا يهاجروا، على أنه إن دهمه من عدوه دهم فيستفزهم فيقاتل بهم، وليس لهم من الغنيمة نصيب، وأنت تقول بين

---

(١) التوبة: ٢٩.

جميعهم، فقد خالفت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في سيرته في المشركين. دع ذا، ما تقول في الصدقة؟
قال: فقرأ عليه هذه الآية: * (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها...) * (١) إلى آخرها. قال (عليه السلام): نعم، فكيف تقسم بينهم؟
قال: أقسمها على ثمانية أجزاء، فاعطي كل جزء من الثمانية جزءا.
فقال (عليه السلام): إن كان صنف منهم عشرة آلاف، وصنف رجلا واحدا أو رجلين أو ثلاثة، جعلت لهذا الواحد مثل ما جعلت للعشرة آلاف؟ قال: نعم.
قال (عليه السلام): وما تصنع بين صدقات أهل الحضر وأهل البوادي، فتجعلهم فيها سواء؟ قال: نعم.
قال (عليه السلام): فخالفت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في كل ما أتى به، كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقسم صدقة البوادي في أهل البوادي، وصدقة الحضر في أهل الحضر، ولا يقسم بينهم بالسوية، إنما يقسمه قدر ما يحضره منهم، وعلى

---

(١) التوبة: ٦٠.

قدر ما يحضره، فإن كان في نفسك شئ مما قلت لك فإن
فقهاء أهل المدينة ومشيختهم، كلهم لا يختلفون في أن
رسول الله كذا كان يصنع، ثم أقبل على عمرو، وقال:
اتق الله يا عمرو، وأنتم أيضا [أيها] الرهط،
فاتقوا الله، فإن أبي حدثني - وكان خير أهل الأرض
وأعلمهم بكتاب الله وسنة رسوله - أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)
قال: " من ضرب الناس بسيفه، ودعاهم إلى نفسه، وفي
المسلمين من هو أعلم منه، فهو ضال متكلف " (١).
١٢ - أصحاب الصادق (عليه السلام) يناظرون بحضرته
وروي عن يونس بن يعقوب، قال: كنت عند
أبي عبد الله (عليه السلام)، فورد عليه رجل من أهل الشام، فقال:
إني رجل صاحب كلام وفقه وفرائض، وقد جئت لمناظرة
أصحابك.
فقال له أبو عبد الله: كلامك هذا من كلام

---

(١) الاحتجاج: ٣٦٢.

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أو من عندك؟ فقال: من كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعضه ومن عندي بعضه.
فقال أبو عبد الله (عليه السلام): فأنت إذن شريك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟! قال: لا.
قال (عليه السلام): فسمعت الوحي من الله تعالى؟ قال: لا.
قال (عليه السلام): فتجب طاعتك كما تجب طاعة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ قال: لا.
قال: فالتفت إلي أبو عبد الله (عليه السلام) فقال: يا يونس، هذا خصم نفسه قبل أن يتكلم.
ثم قال (عليه السلام): يا يونس، لو كنت تحسن الكلام كلمته. قال يونس: فيا لها من حسرة. فقلت: جعلت فداك، سمعتك تنهى عن الكلام وتقول: ويل لأصحاب الكلام يقولون: هذا ينقاد [وهذا لا ينقاد]، وهذا ينساق وهذا لا ينساق، وهذا نعقله وهذا لا نعقله!
فقال أبو عبد الله (عليه السلام): إنما قلت ويل لقوم تركوا قولي بالكلام، وذهبوا إلى ما يريدون. ثم قال: اخرج إلى الباب فمن ترى من المتكلمين فأدخله.
قال: فخرجت فوجدت حمران بن أعين، وكان

يحسن الكلام، ومحمد بن نعمان الأحول وكان متكلما، وهشام بن سالم، وقيس الماصر وكانا متكلمين، وكان قيس عندي أحسنهم كلاما، وكان قد تعلم الكلام من علي ابن الحسين، فأدخلتهم، فلما استقربنا المجلس، وكنا في خيمة لأبي عبد الله (عليه السلام) في طرف جبل في طريق الحرم، وذلك قبل الحج بأيام، فأخرج أبو عبد الله رأسه من الخيمة، فإذا هو ببعير يخب، قال: هشام ورب الكعبة.

قال: وكنا ظننا أن هشاما رجل من ولد عقيل، وكان شديد المحبة لأبي عبد الله، فإذا هشام بن الحكم، وهو أول ما اختطت لحيته، وليس فينا إلا من هو أكبر منه سنا، فوسع له أبو عبد الله (عليه السلام) وقال: " ناصرنا بقلبه ولسانه ويده "، ثم قال لحمران: كلم الرجل - يعني: الشامي -.

فكلمه حمران وظهر عليه ثم قال: يا طاقي كلمه، فكلمه فظهر عليه محمد بن نعمان مؤمن الطاق. ثم قال لهشام بن سالم: كلمه. فتعارفا، ثم قال لقيس الماصر: كلمه، وأقبل أبو عبد الله (عليه السلام) يتبسم من كلامهما، وقد استخذل الشامي في يده، ثم قال للشامي: كلم هذا الغلام

– يعني: هشام بن الحكم – فقال: نعم.
ثم قال الشامي لهشام: يا غلام، سلني في إمامة هذا – يعني أبا عبد الله (عليه السلام) –.
فغضب هشام حتى ارتعد ثم قال له: أخبرني يا هذا أربك أنظر لخلقه، أم خلقه لأنفسهم؟ فقال الشامي: بل ربي أنظر لخلقه.
قال: ففعل بنظره لهم في دينهم ماذا؟ قال: كلفهم وأقام لهم حجة ودليلا على ما كلفهم به، وأزاح في ذلك عللهم.
فقال له هشام: فما هذا الدليل الذي نصبه لهم؟ قال الشامي: هو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).
قال هشام: فبعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من؟ قال: الكتاب والسنة.
فقال هشام: فهل نفعنا اليوم الكتاب والسنة فيما اختلفنا فيه، حتى رفع عنا الاختلاف، ومكننا من الاتفاق؟ فقال الشامي: نعم.
قال هشام: فلم اختلفنا نحن وأنت، جئتنا من الشام تخالفنا، وتزعم أن الرأي طريق الدين، وأنت مقر بأن

الرأي لا يجمع على القول الواحد المختلفين؟
فسكت الشامي كالمفكر، فقال أبو عبد الله (عليه السلام):
ما لك لا تتكلم؟
قال: إن قلت: إنا ما اختلفنا كابرت، وإن قلت: إن
الكتاب والسنة يرفعان عنا الاختلاف أبطلت، لأنهما
يحتملان الوجوه، ولكن لي عليه مثل ذلك.
فقال له أبو عبد الله (عليه السلام): سله تجده مليا. فقال
الشامي لهشام: من أنظر للخلق ربهم أم أنفسهم؟ فقال: بل
ربهم أنظر لهم.
فقال الشامي: فهل أقام لهم من يجمع كلمتهم
ويرفع اختلافهم ويبين لهم حقهم من باطلهم؟ فقال
هشام: نعم.
قال الشامي: من هو؟ قال هشام: أما في ابتداء
الشريعة فرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأما بعد النبي (صلى الله عليه وآله
وسلم)
فعترته.
قال الشامي: من هو عترة النبي القائم مقامه في
حجته؟ قال هشام: في وقتنا هذا أم قبله؟
قال الشامي: بل في وقتنا هذا. قال هشام: هذا

الجالس، يعني: أبا عبد الله (عليه السلام)، الذي تشد إليه الرحال، ويخبرنا بأخبار السماء وراثة عن جده.
قال الشامي: وكيف لي بعلم ذلك؟ فقال هشام:
سله عما بدا لك.
قال الشامي: قطعت عذري، فعلي السؤال. فقال أبو عبد الله (عليه السلام): أنا أكفيك المسألة يا شامي، أخبرك عن مسيرك وسفرك، خرجت يوم كذا، وكان طريقك كذا، ومررت على كذا، ومر بك كذا. فأقبل الشامي كلما وصف له شيئا من أمره يقول: " صدقت والله "، فقال الشامي:
أسلمت لله الساعة.
فقال له أبو عبد الله (عليه السلام): بل آمنت بالله الساعة، إن الإسلام قبل الإيمان وعليه يتوارثون ويتناكحون، والإيمان عليه يثابون. قال: صدقت، فأنا الساعة أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإنك وصي الأنبياء.
قال: فأقبل أبو عبد الله (عليه السلام) على حمران فقال: يا حمران، تجري الكلام على الأثر فتصيب. فالتفت إلى هشام بن سالم فقال: تريد الأثر ولا تعرف. ثم التفت إلى

الأحول فقال: قياس رواغ، تكسر باطلا بباطل، إلا أن باطلك أظهر. ثم التفت إلى قيس الماصر فقال: تكلم وأقرب ما يكون من الخبر عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أبعد ما تكون منه، تمزج الحق بالباطل، وقليل الحق يكفي من كثير الباطل، أنت والأحول قفازان حاذقان.

قال يونس بن يعقوب: فظننت والله أنه يقول لهشام قريبا مما قال لهما، فقال: يا هشام، لا تكاد تقع تلوي رجليك، إذ هممت بالأرض طرت، مثلك فليكلم الناس، اتق الزلة، والشفاعة من ورائك (١).

والملاحظ من هذه المناظرة أنه (عليه السلام) يوجه أصحابه إلى انتهاج أسلوب الجدل بالحق وبالتي هي أحسن، ويحذرهم من الوقوع في الباطل والجدل العقيم الذي لا يهدي إلى سواء السبيل، ويهديهم (عليه السلام) إلى أسس الكلام مبينا لهم خير أسوة منهم وهو هشام بن الحكم، ليكون مثالا لهم في سلوك طريق الحق في الكلام، وقدوة في انتهاج سبيل المناظرة والاحتجاج.

---

(١) الاحتجاج: ٣٦٤.

١٣ - مناظرة هشام بن الحكم
مع عمرو بن عبيد في الإمامة
وعن يونس بن يعقوب، قال: كان عند
أبي عبد الله (عليه السلام) جماعة من أصحابه فيهم حمران بن
أعين ومؤمن الطاق وهشام بن سالم والطيار وجماعة من
أصحابه، فيهم هشام بن الحكم وهو شاب، فقال
أبو عبد الله: يا هشام. قال: لبيك يا ابن رسول الله!
قال: ألا تخبرني كيف صنعت بعمرو بن عبيد وكيف
سألته؟ قال هشام: جعلت فداك يا ابن رسول الله، إني
أجلك وأستحييك، ولا يعمل لساني بين يديك.
فقال أبو عبد الله (عليه السلام): إذا أمرتكم بشئ
فافعلوه.
قال هشام: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد
وجلوسه في مسجد البصرة، وعظم ذلك علي، فخرجت
إليه، ودخلت البصرة يوم الجمعة، وأتيت مسجد البصرة،
فإذا أنا بحلقة كبيرة، وإذا بعمرو بن عبيد عليه شملة سوداء

مؤتزر بها من صوف وشملة مرتد بها، والناس يسألونه، فاستفرجت الناس فأفرجوا لي، ثم قعدت في آخر القوم على ركبتي، ثم قلت:
أيها العالم، أنا رجل غريب، أتأذن لي فأسألك عن مسألة؟ قال: اسأل. قلت له: ألك عين؟ قال: يا بني أي شئ هذا من السؤال، إذن كيف تسأل عنه؟ فقلت: هذه مسألتي. فقال: يا بني سل، وإن كانت مسألتك حمقى.
قلت: أجبني فيها، قال: فقال لي: سل. فقلت: ألك عين؟
قال: نعم.
قال: قلت: فما تصنع بها؟ قال: أرى بها الألوان والأشخاص. قال: قلت: ألك أنف؟ قال: نعم. قال: قلت: فما تصنع به؟ قال: أشم به الرائحة.
قال: قلت: ألك لسان؟ قال: نعم. قلت: فما تصنع به؟ قال: أتكلم به.
قال: قلت: ألك أذن؟ قال: نعم. قلت: فما تصنع بها؟ قال: أسمع بها الأصوات.
قال: قلت: ألك يدان؟ قال: نعم. قلت: فما تصنع بهما؟ قال: أبطش بهما، وأعرف بهما اللين من الخشن.

قال: قلت: ألك رجلان؟ قال: نعم. قال:
قلت: فما تصنع بهما؟ قال: أنتقل بهما من مكان إلى مكان.
قال: قلت: ألك فم؟ قال: نعم. قال: قلت:
فما تصنع به؟ قال: أعرف به المطاعم والمشارب على اختلافها.
قال: قلت: ألك قلب؟ قال: نعم. قال: قلت:
فما تصنع به؟ قال: أميز به كلما ورد على هذه الجوارح.
قال: قلت: أفليس في هذه الجوارح غنى عن القلب؟ قال: لا.
قلت: وكيف ذاك وهي صحيحة سليمة؟
قال: يا بني إن الجوارح إذا شكت في شئ شمته أو رأته أو ذاقته ردته إلى القلب، فتيقن بها اليقين وأبطل الشك.
قال: فقلت: فإنما أقام الله عز وجل القلب لشك الجوارح؟ قال: نعم.
قلت: لا بد من القلب وإلا لم تستيقن الجوارح،
قال: نعم.

قلت: يا أبا مروان، إن الله تبارك وتعالى لم يترك جوارحكم حتى جعل لها إماما، يصحح لها الصحيح وينفي ما شكت فيه، ويترك هذا الخلق كله في حيرتهم وشكهم واختلافهم لا يقيم لهم إماما يردون إليه شكهم وحيرتهم، ويقيم لك إماما لجوارحك ترد إليه حيرتك وشكك؟!

قال: فسكت ولم يقل لي شيئا. قال: ثم التف إلي فقال لي: أنت هشام؟ قال: قلت: لا، فقال لي: أجالسته؟ فقلت: لا. قال: فمن أين أنت؟ قلت: من أهل الكوفة.

قال: فأنت إذن هو. ثم ضمني إليه وأقعدني في مجلسه، وما نطق حتى قمت. فضحك أبو عبد الله، ثم قال: يا هشام، من علمك هذا؟

قلت: يا ابن رسول الله؟ جرى على لساني.

قال: يا هشام، هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى (١).

---

(١) الاحتجاج: ٣٦٧.

١٤ – موافقة الصادق (عليه السلام) لرجل من الشيعة
استعمل التورية في المناظرة
وبالإسناد عن أبي محمد الحسن بن علي
العسكري (عليه السلام) أنه قال: قال بعض المخالفين بحضرة
الصادق (عليه السلام) لرجل من الشيعة: ما تقول في العشرة من
الصحابة؟
قال: أقول فيهم القول الجميل الذي يحط الله به
سيئاتي، ويرفع به درجاتي.
قال السائل: الحمد لله على ما أنقذني من بغضك،
كنت أظنك رافضيا تبغض الصحابة. فقال الرجل: ألا من
أبغض واحدا من الصحابة فعليه لعنة الله.
قال: لعلك تتأول ما تقول، فمن أبغض العشرة من
الصحابة؟
فقال: من أبغض العشرة من الصحابة فعليه لعنة الله
والملائكة والناس أجمعين. فوثب فقبل رأسه فقال:
اجعلني في حل مما قذفتك به من الرفض قبل اليوم.

قال: أنت في حل وأنت أخي، ثم انصرف السائل،
فقال له الصادق (عليه السلام): جودت، لله درك! لقد عجبت الملائكة من حسن توريتك وتلفظك بما خلصك ولم تثلم دينك، زاد الله في قلوب مخالفينا غما إلى غم، وحجب عنهم مراد منتحلي مودتنا في تقيتهم.
فقال أصحاب الصادق (عليه السلام): يا ابن رسول الله، ما عقلنا من كلام هذا إلا موافقته لهذا المتعنت الناصب.
فقال الصادق (عليه السلام): لئن كنتم لم تفهموا ما عنى فقد فهمنا نحن، فقد شكره الله له، إن ولينا الموالي لأوليائنا المعادي لأعدائنا، إذا ابتلاه الله بمن يمتحنه من مخالفيه، وفقه لجواب يسلم معه دينه وعرضه، ويعظم الله بالتقية ثوابه، إن صاحبكم هذا قال: من عاب واحدا منهم فعليه لعنة الله. أي: من عاب واحدا منهم، هو: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).
وقال في الثانية: من عابهم وشتمهم فعليه لعنة الله، وقد صدق لأن من عابهم فقد عاب عليا (عليه السلام) لأنه أحدهم، فإذا لم يعب عليا ولم يذمه فلم يعبهم جميعا وإنما عاب بعضهم، ولقد كان لحزقيل المؤمن مع قوم فرعون

الذين وشوا به إلى فرعون مثل هذه التورية، كان حزقيل يدعوهم إلى توحيد الله ونبوة موسى، وتفضيل محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على جميع رسل الله وخلقه، وتفضيل علي بن أبي طالب (عليه السلام) والخيار من الأئمة على سائر أوصياء النبيين، وإلى البراءة من فرعون، فوشى به واشون إلى فرعون وقالوا: إن حزقيل يدعو إلى مخالفتك، ويعين أعداءك على مضادتك.

فقال لهم فرعون: ابن عمي وخليفتي في ملكي وولي عهدي، إن كان قد فعل ما قلتم فقد استحق العذاب على كفره نعمتي، وإن كنتم عليه كاذبين فقد استحققتم أشد العذاب لإيثاركم الدخول في مساءته، فجاء بحزقيل وجاء بهم فكاشفوه وقالوا: أنت تجحد ربوبية الملك وتكفر نعماءه.

فقال حزقيل: أيها الملك هل جربت علي كذبا قط.

قال: لا.

قال: فسلهم من ربهم؟ قالوا: فرعون. قال: ومن خلقكم؟ قالوا: فرعون هذا.

قال: ومن رازقكم الكافل لمعايشكم، والدافع

عنكم مكارهكم؟ قالوا: فرعون هذا.
قال حزقيل: أيها الملك فأشهدك وكل من حضرك: أن ربهم هو ربي، وخالقهم هو خالقي، ورازقهم هو رازقي، ومصلح معايشهم هو مصلح معايشي، لا رب لي ولا خالق غير ربهم وخالقهم ورازقهم، وأشهدك ومن حضرك: أن كل رب وخالق سوى ربهم وخالقهم ورازقهم فأنا برئ منه ومن ربوبيته وكافر بإلهيته.
يقول حزقيل هذا وهو يعني: أن ربهم هو الله ربي، ولم يقل إن الذي قالوا هم أنه ربهم هو ربي، وخفي هذا المعنى على فرعون ومن حضره، وتوهموا أنه يقول: فرعون ربي وخالقي ورازقي.
فقال لهم: يا رجال السوء ويا طلاب الفساد في ملكي ومريدي الفتنة بيني وبين ابن عمي وهو عضدي، أنتم المستحقون لعذابي لإرادتكم فساد أمري وهلاك ابن عمي والفت في عضدي.
ثم أمر بالأوتاد فجعل في ساق كل واحد منهم وتدا وفي صدره وتدا، وأمر أصحاب أمشاط الحديد فشقوا بها لحومهم من أبدانهم، فذلك ما قال الله تعالى: * (فوقاه الله

سيئات ما مكروا) * (١) لما وشوا به إلى فرعون ليهلكوه، وحاق بآل فرعون سوء العذاب، وهم الذين وشوا بحزقيل إليه لما أوتد فيهم الأوتاد، ومشط عن أبدانهم لحومها بالأمشاط (٢).

ومثل هذه التورية قد كانت لأبي عبد الله (عليه السلام) في مواضع كثيرة.

وكان الصادق (عليه السلام) يقول: علمنا غابر ومزبور، ونكت في القلوب، ونقر في الأسماع، وإن عندنا الجفر الأحمر والجفر الأبيض ومصحف فاطمة (عليها السلام)، وعندنا الجامعة فيها جميع ما يحتاج إليه الناس.

فسئل عن تفسير هذا الكلام فقال: أما الغابر: فالعلم بما يكون، والمزبور: فالعلم بما كان، وأما النكت في القلوب: فهو الإمام، والنقر في الأسماع: فحديث الملائكة، نسمع كلامهم ولا نرى أشخاصهم، وأما الجفر الأحمر: فوعاء فيه توراة موسى وإنجيل عيسى

---

(١) غافر: ٤٥.

(٢) الاحتجاج: ٣٧٠.

وزبور داوود وكتب الله، وأما مصحف فاطمة: ففيه ما يكون من حادث وأسماء من يملك إلى أن تقوم الساعة.

وأما الجامعة: فهو كتاب طوله سبعون ذراعا، إملاء رسول الله من فلق فيه وخط علي بن أبي طالب (عليه السلام) بيده، فيه والله جميع ما يحتاج الناس إليه إلى يوم القيامة، حتى أن فيه أرش الخدش، والجلدة ونصف الجلدة.

ولقد كان زيد بن علي بن الحسين يطمع أن يوصي إليه أخوه الباقر (عليه السلام) ويقيمه مقامه في الخلافة بعده، مثل ما كان يطمع في ذلك محمد بن الحنفية بعد وفاة أخيه الحسين صلوات الله عليه، حتى رأى من ابن أخيه زين العابدين (عليه السلام) من المعجزة الدالة على إمامته ما رأى، وقد تقدم ذكره في هذا الكتاب، فكذلك زيد رجا أن يكون القائم مقام أخيه الباقر صلوات الله عليه، حتى سمع ما سمع من أخيه ورأى ما رأى من ابن أخيه أبي عبد الله الصادق (عليه السلام).

فمن ذلك: ما رواه صدقة بن أبي موسى، عن أبي بصير، قال: لما حضر أبا جعفر محمد بن علي (عليه السلام) الوفاة،

دعا بابنه الصادق (عليه السلام) ليعهد إليه عهدا، فقال له أخوه زيد ابن علي:
لما امتثلت في مثال الحسن والحسين (عليه السلام) رجوت أن لا تكون أتيت منكرا.
فقال له الباقر (عليه السلام): يا أبا الحسين، إن الأمانات ليست بالمثال، ولا العهود بالرسوم، إنما هي أمور سابقة عن حجج الله تبارك وتعالى، ثم دعا بجابر بن عبد الله الأنصاري فقال: يا جابر، حدثنا بما عاينت من الصحيفة؟
فقال له: نعم يا أبا جعفر، دخلت على مولاتي فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأهنيها بولادة الحسن (عليه السلام)، فإذا بيدها صحيفة بيضاء من درة، فقلت: يا سيدة النسوان، ما هذه الصحيفة التي أراها معك؟
قالت: فيها أسماء أئمة من ولدي.
قلت لها: ناوليني لأنظر فيها! قالت: يا جابر، لولا النهي لكنت أفعل، ولكنه قد نهي أن يمسها إلا نبي أو وصي نبي، أو أهل بيت نبي، ولكنه مأذون لك أن تنظر إلى باطنها من ظاهرها.
قال جابر: فقرأت فإذا فيها: أبو القاسم محمد بن

عبد الله المصطفى بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أمه آمنة.
أبو الحسن علي بن أبي طالب (عليه السلام) المرتضى، أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف.
أبو محمد الحسن بن علي البر التقي. أبو عبد الله الحسين بن علي، أمهما فاطمة بنت محمد.
أبو محمد علي بن الحسين العدل، أمه شهربانويه بنت يزدجرد بن شهريار.
أبو جعفر محمد بن علي الباقر، أمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب.
أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق، أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر.
أبو إبراهيم موسى بن جعفر الثقة، أمه جارية اسمها: " حميدة " المصفاة.
أبو الحسن علي بن موسى الرضا، أمه جارية اسمها: " نجمة ".
أبو جعفر محمد بن علي الزكي، أمه جارية اسمها: " خيزران ".

أبو الحسن علي بن محمد الأمين، أمه جارية اسمها: " سوسن ".
أبو محمد الحسن بن علي الرضي، أمه جارية اسمها: " سمانة " تكنى أم الحسن.
أبو القاسم محمد بن الحسن، وهو الحجة القائم، أمه جارية اسمها: " نرجس " صلوات الله عليهم أجمعين.
* * *

وعن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن هذه الآية: * (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) * (١)؟ قال: أي شئ تقول؟ قلت: إني أقول إنها خاصة لولد فاطمة.
فقال (عليه السلام): أما من سل سيفه ودعا الناس إلى نفسه إلى الضلال من ولد فاطمة وغيرهم فليس بداخل في الآية.
قلت: من يدخل فيها؟ قال: الظالم لنفسه الذي

---

(١) الأعراف: ١٤٥.

لا يدعو الناس إلى ضلال ولا هدى، والمقتصد منا أهل البيت: العارف حق الإمام، والسابق بالخيرات: هو الإمام.

* * *

عن محمد بن أبي عمير الكوفي، عن عبد الله بن الوليد السمان، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): ما يقول الناس في أولي العزم وصاحبكم أمير المؤمنين (عليه السلام)؟ قال: قلت: ما يقدمون على أولي العزم أحدا.

قال: فقال أبو عبد الله (عليه السلام): إن الله تبارك وتعالى قال لموسى: * (وكتبنا له في الألواح من كل شئ موعظة) * (١) ولم يقل كل شئ موعظة، وقال لعيسى: * (وليبين لكم بعض الذي تختلفون فيه) * (٢) ولم يقل كل شئ، وقال لصاحبكم أمير المؤمنين (عليه السلام): * (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) * (٣)، وقال

---

(١) الأعراف: ١٤٥.

(٢) الزخرف: ٦٣.

(٣) الرعد: ٤٣.

الله عز وجل: * (ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) * (١)
وعلم هذا الكتاب عنده.
* * *

وعن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: سمعت
الصادق (عليه السلام) يقول: إن لصاحب هذا الأمر غيبة لا بد منها،
يرتاب فيها كل مبطل، قلت له: ولم جعلت فداك؟
قال: الأمر لا يؤذن لي في كشفه لكم. قلت:
فما وجه الحكمة في غيبته؟
قال: وجه الحكمة في غيبته، وجه الحكمة في
غيبات من تقدمه من حجج الله تعالى ذكره، إن وجه
الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره، كما لم ينكشف
وجه الحكمة لما أتاه الخضر من خرق السفينة وقتل الغلام
وإقامة الجدار لموسى (عليه السلام) إلى وقت افتراقهما. يا ابن
الفضل، إن هذا الأمر أمر من الله وسر من سر الله وغيب
من غيب الله، ومتى علمنا أنه عز وجل حكيم صدقنا بأن
أفعاله كلها حكمة، وإن كان وجهها غير منكشف.

---

(١) الأنعام: ٥٩.

١٥ - مناظرة الزنادقة في إعجاز القرآن

وعن هشام بن الحكم، قال: اجتمع ابن أبي العوجاء وأبو شاكر الديصاني الزنديق وعبد الملك البصري وابن المقفع عند بيت الله الحرام، يستهزءون بالحاج ويطعنون بالقرآن.

فقال ابن أبي العوجاء: تعالوا ننقض كل واحد منا ربع القرآن وميعادنا من قابل في هذا الموضع، نجتمع فيه وقد نقضنا القرآن كله، فإن في نقض القرآن إبطال نبوة محمد، وفي إبطال نبوته إبطال الإسلام وإثبات ما نحن فيه. فاتفقوا على ذلك وافترقوا، فلما كان من قابل اجتمعوا عند بيت الله الحرام، فقال ابن أبي العوجاء: أما أنا فمفكر منذ افترقنا في هذه الآية: * (فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا) * (١) فما أقدر أن أضم إليها في فصاحتها وجميع معانيها شيئا، فشغلتني هذه الآية

---

(١) يوسف: ٨٠.

عن التفكر في ما سواها.
فقال عبد الملك: وأنا منذ فارقتكم مفكر في هذه الآية: * (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) * (١) ولم أقدر على الإتيان بمثلها.
فقال أبو شاكر: وأنا منذ فارقتكم مفكر في هذه الآية: * (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) * (٢) لم أقدر على الإتيان بمثلها.
فقال ابن المقفع: يا قوم، إن هذا القرآن ليس من جنس كلام البشر، وأنا منذ فارقتكم مفكر في هذه الآية: * (وقيل يا أرض ابلعي مائك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين) * (٣) لم أبلغ غاية المعرفة بها، ولم أقدر على الإتيان بمثلها.

---

(١) الحج: ٧٣.
(٢) الأنبياء: ٢٤.
(٣) هود: ٤٤.

قال هشام بن الحكم: فبينما هم في ذلك، إذ مر بهم جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) فقال: * (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) * (١) فنظر القوم بعضهم إلى بعض وقالوا: لئن كان للإسلام حقيقة لما انتهت أمر وصية محمد إلا إلى جعفر بن محمد، والله ما رأيناه قط إلا هبناه واقشعرت جلودنا لهيبته، ثم تفرقوا مقرين بالعجز (٢).

* * *

وقد جاءت الآثار عن الأئمة الأبرار (عليهم السلام): بفضل من نصب نفسه من علماء شيعتهم لمنع أهل البدعة والضلال عن التسلط على ضعفاء الشيعة ومساكينهم وقمعهم بحسب تمكنهم وطاقتهم، فمن ذلك ما روي عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري (عليه السلام) أنه قال: قال جعفر بن محمد (عليه السلام): علماء شيعتنا مرابطون في الثغر الذي يلي إبليس وعفاريته، يمنعونهم عن

---

(١) الإسراء: ٨٨.
(٢) الاحتجاج: ٣٧٧.

الخروج على ضعفاء شيعتنا، وعن أن يتسلط عليهم إبليس وشيعته النواصب، ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان أفضل ممن جاهد الروم والترك والخزر ألف ألف مرة، لأنه يدفع عن أديان محبينا، وذلك يدفع عن أبدانهم.

١٦ - مناظرة سفيان الثوري وبعض المتصوفة في الزهد

دخل سفيان الثوري على أبي عبد الله (عليه السلام) فرأى عليه ثيابا بيضا كأنها غرقئ البيض (١) فقال له: إن هذا ليس من لباسك. فقال (عليه السلام) له: اسمع مني وع ما أقول لك فإنه خير لك عاجلا وآجلا إن كنت أنت مت على السنة والحق ولم تمت على بدعة، أخبرك أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان في زمان مقفر جشب (٢) فإذا أقبلت الدنيا فأحق أهلها بها أبرارها لا فجارها، ومؤمنوها لا منافقوها، ومسلموها لا كفارها. فما أنكرت يا ثوري، فوالله - إني لمع ما ترى -

---

(١) غرقئ البيض: القشرة الرقيقة الملتصقة ببياض البيض.

(٢) القفر: خلو الأرض من الماء والكلأ.

ما أتى علي مذ عقلت صباح ولا مساء ولله في مالي حق أمرني أن أضعه موضعا إلا وضعته.
فقال: ثم أتاه قوم ممن يظهر التزهد ويدعون الناس أن يكونوا معهم على مثل الذي هم عليه من التقشف، فقالوا: إن صاحبنا حصر من كلامك ولم تحضره حجة.
فقال (عليه السلام) لهم: هاتوا حججكم. فقالوا: إن حججنا من كتاب الله.
قال (عليه السلام) لهم: فأدلوا بها، فإنها أحق ما اتبع وعمل به. فقالوا: يقول الله تبارك وتعالى مخبرا عن قوم من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): * (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) * (١)، فمدح فعلهم، وقال في موضع آخر: * (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا) * (٢) فنحن نكتفي بهذا.
فقال رجل من الجلساء: إنا ما رأيناكم تزهدون في

---

(١) سورة الحشر، الآية ٩.
(٢) سورة الإنسان، الآية ٨.

الأطعمة الطيبة، ومع ذلك تأمرون الناس بالخروج من
أموالهم حتى تتمتعوا أنتم بها.
فقال أبو عبد الله (عليه السلام): دعوا عنكم ما لا ينتفع به،
أخبروني أيها النفر، ألكم علم بناسخ القرآن من منسوخه،
ومحكمه من متشابهه، الذي في مثله ضل من ضل وهلك
من هلك من هذه الأمة؟ فقالوا له: بعضه، فأما كله فلا.
فقال (عليه السلام) لهم: من هاهنا أوتيتم. وكذلك أحاديث
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأما ما ذكرتم من إخبار الله إيانا في
كتابه عن القوم الذين أخبر عنهم ليحسن فعالهم فقد كان
مباحا جائزا، ولم يكونوا نهوا عنه، وثوابهم منه على الله،
وذلك أن الله عز وجل وتقدس أمر بخلاف ما عملوا به
فصار أمره ناسخا لفعلهم.
وكان نهى تبارك وتعالى رحمة للمؤمنين ونظرا
لكيلا يضروا بأنفسهم وعيالاتهم، منهم الضعفة الصغار
والولدان والشيخ الفان والعجوز الكبيرة الذين لا يصبرون
على الجوع، فإن تصدقت برغيفي ولا رغيف لي غيره
ضاعوا وهلكوا جوعا، فمن ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):
" خمس تمرات أو خمس قرص أو دنانير أو دراهم

يملكها الإنسان وهو يريد أن يمضيها فأفضلها ما أنفقه الإنسان على والديه، ثم الثانية على نفسه وعياله، ثم الثالثة على القرابة وإخوانه المؤمنين، ثم الرابعة على جيرانه الفقراء، ثم الخامسة في سبيل الله وهو أخسها أجرا ".

وقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للأنصاري - حيث أعتق عند موته خمسة أو ستة من الرقيق، ولم يكن يملك غيرهم وله أولاد صغار -: " لو أعلمتموني أمره ما تركتكم تدفنونه مع المسلمين، ترك صبية صغارا يتكففون الناس ".

ثم قال: حدثني أبي أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: " ابدأ بمن تعول، الأدنى فالأدنى ".

ثم هذا ما نطق به الكتاب ردا لقولكم ونهيا عنه مفروض من الله العزيز الحكيم قال: * (الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) * (١)، أفلا ترون أن الله تبارك وتعالى غير ما أراكم تدعون إليه والمسرفين، وفي غير آية من كتاب الله يقول: * (إنه لا يحب

---

(١) سورة الفرقان، الآية ٦٧.

المسرفين) * (١) فنهاهم عن الإسراف ونهاهم عن التقتير، لكن أمر بين أمرين، لا يعطي جميع ما عنده، ثم يدعو الله أن يرزقه فلا يستجيب له، للحديث الذي جاء عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): " إن أصنافا من أمتي لا يستجاب لهم دعاؤهم: رجل يدعو على والديه، ورجل يدعو على غريم ذهب له بمال ولم يشهد عليه، ورجل يدعو على امرأته وقد جعل الله تخلية سبيلها بيده، ورجل يقعد في البيت ويقول: يا رب ارزقني، ولا يخرج بطلب الرزق، فيقول الله جل وعز: عبدي، أو لم أجعل لك السبيل إلى الطلب والضرب في الأرض بجوارح صحيحة، فتكون قد أعذرت فيما بيني وبينك في الطلب لاتباع أمري، ولكيلا تكون كلا على أهلك، فإن شئت رزقتك، وإن شئت قترت عليك وأنت معذور عندي، ورجل رزقه الله مالا كثيرا فأنفقه ثم أقبل يدعو. يا رب ارزقني، فيقول الله: ألم أرزقك رزقا واسعا، أفلا اقتصدت فيه كما أمرتك ولم تسرف وقد نهيتك، ورجل يدعو في قطيعة رحم ".

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٤١، وسورة الأعراف، الآية ٣١.

ثم علم الله نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) كيف ينفق، وذلك أنه كانت عنده (صلى الله عليه وآله وسلم) أوقية من ذهب فكره أن يبيت عنده شئ فتصدق وأصبح ليس عنده شئ. وجاءه من يسأله فلم يكن عنده ما يعطيه، فلامه السائل، واغتم هو (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث لم يكن عنده ما يعطيه وكان رحيما رقيقا، فأدب الله نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) بأمره إياه فقال: * (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) * (١)، يقول: إن الناس قد يسألونك ولا يعذرونك، فإذا أعطيت جميع ما عندك كنت قد خسرت من المال. فهذه أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يصدقها الكتاب، والكتاب يصدقه أهله من المؤمنين.

وقال أبو بكر عند موته حيث قيل له: أوص، فقال: أوصي بالخمس، والخمس كثير، فإن الله قد رضي بالخمس، فأوصى بالخمس، وقد جعل الله عز وجل له الثلث عند موته، ولو علم أن الثلث خير له أوصى به.

ثم من قد علمتم بعده في فضله وزهده سلمان

---

(١) سورة الأسرى، الآية ٣١.

وأبو ذر رضي الله عنهما، فأما سلمان (رضي الله عنه) فكان إذا أخذ عطاءه رفع منه قوته لسنته حتى يحضره عطاؤه من قابل.
فقيل له: يا أبا عبد الله، أنت في زهدك تصنع هذا، وإنك لا تدري لعلك تموت اليوم أو غدا. فكان جوابه أن قال: ما لكم لا ترجون لي البقاء كما خفتم علي الفناء، أو ما علمتم يا جهلة أن النفس تلتات (١) على صاحبها إذا لم يكن لها من العيش ما تعتمد عليه، فإذا هي أحرزت معيشتها اطمأنت.
فأما أبو ذر (رضي الله عنه) فكانت له نويقات وشويهات يحلبها ويذبح منها إذا اشتهى أهله اللحم أو نزل به ضيف أو رأى بأهل الماء الذين هم معه خصاصة، نحر لهم الجزور أو من الشياه، على قدر ما يذهب عنهم قرم اللحم فيقسمه بينهم، ويأخذ كنصيب أحدهم لا يفضل عليهم.
ومن أزهد من هؤلاء؟ وقد قال فيهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما قال، ولم يبلغ من أمرهما أن صارا لا يملكان شيئا البتة كما تأمرون الناس بإلقاء أمتعتهم وشيئهم ويؤثرون به على

---

(١) أي تبطئ وتحتبس عن الطاعات.

أنفسهم وعيالاتهم.
وأعلموا أيها النفر أني سمعت أبي يروي عن
آبائه (عليهم السلام) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال يوما: " ما عجبت
من شئ كعجبي من المؤمن أنه إن قرض جسده في دار
الدنيا بالمقاريض كان خيرا له، وإن ملك ما بين مشارق
الأرض ومغاربها كان خيرا له، فكل ما يصنع الله عز وجل
به فهو خير له " فليت شعري هل يحيق فيكم اليوم ما قد
شرحت لكم أم أزيدكم؟
أو ما علمتم أن الله جل اسمه قد فرض على
المؤمنين في أول الأمر أن يقاتل الرجل منهم عشرة من
المشركين، ليس له أن يولي وجهه عنهم، ومن ولاهم
يومئذ دبره فقد تبوأ مقعده من النار، ثم حولهم من حالهم
رحمة منه فصار الرجل منهم عليه أن يقاتل رجلين من
المشركين تخفيفا من الله عز وجل عن المؤمنين، فنسخ
الرجلان العشرة.
وأخبروني أيضا عن القضاة أجور منهم حيث
يفرضون على الرجل منكم نفقة امرأته إذا قال: أنا زاهد
وإنه لا شئ لي؟ فإن قلتم: جور، ظلمتم أهل الإسلام
وإن قلتم: بل عدل، خصمتم أنفسكم. وحيث تريدون

صدقة من تصدق على المساكين عند الموت بأكثر من الثلث.

أخبروني لو كان الناس كلهم كما تريدون زهدا لا حاجة لهم في متاع غيرهم، فعلى من كان يتصدق بكفارات الأيمان والنذور والصدقات من فرض الزكاة من الإبل والغنم والبقر وغير ذلك من الذهب والفضة والنخل والزبيب وسائر ما قد وجبت فيه الزكاة؟

إذا كان الأمر على ما تقولون لا ينبغي لأحد أن يحبس شيئا من عرض الدنيا إلا قدمه وإن كان به خصاصة، فبئس ما ذهبتم إليه وحملتم الناس عليه من الجهل بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) وأحاديثه التي يصدقها الكتاب المنزل، أوردكم إياها بجهالتكم وترككم النظر في غرائب القرآن من التفسير بالناسخ من المنسوخ والمحكم والمتشابه والأمر والنهي.

وأخبروني أنتم عن سليمان بن داود (عليه السلام) حيث سأل الله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه الله جل اسمه ذلك، وكان (عليه السلام) يقول الحق ويعمل به ثم لم تجد الله عاب ذلك عليه ولا أحدا من المؤمنين. وداود (عليه السلام) قبله في ملكه وشدة سلطانه.

ثم يوسف النبي (عليه السلام) حيث قال لملك مصر:
* (اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم) * (١) فكان أمره الذي كان، اختار مملكة الملك وما حولها إلى اليمن، فكانوا يمتارون الطعام من عنده لمجاعة أصابتهم، وكان (عليه السلام) يقول الحق ويعمل به فلم نجد أحدا عاب ذلك عليه.
ثم ذو القرنين عبد أحب الله فأحبه، طوى له الأسباب وملكه مشارق الأرض ومغاربها، وكان يقول بالحق ويعمل به، ثم لم نجد أحدا عاب ذلك عليه.
فتأدبوا أيها النفر بآداب الله عز وجل للمؤمنين واقتصروا على أمر الله ونهيه، ودعوا عنكم ما اشتبه عليكم مما لا علم لكم به، وردوا العلم إلى أهله تؤجروا وتعذروا عند الله تبارك وتعالى، وكونوا في طلب علم الناسخ من القرآن من منسوخه ومحكمه من متشابهه، وما أحل الله فيه مما حرم، فإنه أقرب لكم من الله وأبعد لكم من الجهل، ودعوا الجهالة لأهلها فإن أهل الجهل كثير، وأهل العلم قليل، وقد قال الله: * (وفوق كل ذي علم

---

(١) سورة يوسف، الآية ٥٦.

عليم) * (١).

١٧ - مناظرة الطبيب الهندي في أسرار خلق الإنسان

علل الشرائع، والخصال: روى ابن بابويه، عن الربيع صاحب المنصور، قال: حضر أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليهما السلام) مجلس المنصور يوما وعنده رجل من الهند يقرأ كتب الطب، فجعل أبو عبد الله الصادق جعفر بن محمد (عليهما السلام) ينصت لقراءته، فلما فرغ الهندي قال له: يا أبا عبد الله أتريد مما معي شيئا؟ قال: لا، فإن ما معي خير مما معك. قال: وما هو؟ قال: أداوي الحار بالبارد، والبارد بالحار، والرطب باليابس، واليابس بالرطب، وأرد الأمر كله إلى الله عز وجل، وأستعمل ما قاله رسول الله (صلى الله عليه وآله): " واعلم أن المعدة بيت الداء، والحمية هي الدواء " وأعود البدن ما اعتاد. فقال الهندي: وهل الطب إلا هذا؟ فقال الصادق (عليه السلام): أفتراني عن كتب الطب أخذت؟ قال: نعم.

---

(١) تحف العقول: ٣٤٨ - ٣٥٣، والآية من سورة يوسف: ٧٦.

قال: لا والله ما أخذت إلا عن الله سبحانه، فأخبرني أنا أعلم بالطب أم أنت؟ فقال الهندي: لا بل أنا.
قال الصادق (عليه السلام): فأسألك شيئا. قال: سل. قال: أخبرني يا هندي كم كان في الرأس شؤون؟ قال:
لا أعلم. قال: فلم جعل الشعر عليه من فوقه؟ قال:
لا أعلم. قال: فلم خلت الجبهة من الشعر؟ قال: لا أعلم.
قال: فلم كان لها تخطيط وأسارير؟ قال: لا أعلم.
قال: فلم كان الحاجبان من فوق العينين؟ قال:
لا أعلم. قال: فلم جعلت العينان كاللوزتين؟ قال:
لا أعلم. قال: فلم جعل الأنف فيما بينهما؟ قال: لا أعلم.
قال: فلم كان ثقب الأنف في أسفله؟ قال: لا أعلم.
قال: فلم جعلت الشفة والشارب من فوق الفم؟
قال: لا أعلم. قال: فلم احتد السن، وعرض الضرس، وطال الناب؟ قال: لا أعلم. قال: فلم جعلت اللحية للرجال؟ قال: لا أعلم. قال: فلم خلت الكفان من الشعر؟ قال: لا أعلم. قال: فلم خلا الظفر والشعر من الحياة؟ قال: لا أعلم. قال: فلم كان القلب كحب الصنوبر؟ قال: لا أعلم. قال: فلم كانت الرية قطعتين، وجعل حركتها في موضعها؟ قال: لا أعلم. قال: فلم

كانت الكبد حدباء؟ قال: لا أعلم.
قال: فلم كانت الكلية كحب اللوبيا؟ قال: لا أعلم.
قال: فلم جعل طي الركبتين إلى خلف؟ قال: لا أعلم.
قال: فلم تخصرت القدم؟ قال: لا أعلم.
فقال الصادق (عليه السلام): لكني أعلم. قال: فأجب. قال الصادق (عليه السلام): كان في الرأس شؤون لأن المجوف إذا كان بلا فصل أسرع إليه الصداع، فإذا جعل ذا فصول كان الصداع منه أبعد. وجعل الشعر من فوقه لتوصل بوصوله الأدهان إلى الدماغ، ويخرج بأطرافه البخار منه، ويرد الحر والبرد الواردين عليه. وخلت الجبهة من الشعر لأنها مصب النور إلى العينين، وجعل فيها التخطيط والأسارير ليحتبس العرق الوارد من الرأس عن العين قدر ما يميطه (١) الإنسان عن نفسه، كالأنهار في الأرض التي تحبس المياه. وجعل الحاجبان من فوق العينين ليراد عليهما (٢) من النور قدر الكفاف، ألا ترى يا هندي أن من غلبه النور جعل يده على عينيه ليرد عليهما قدر كفايتهما منه.

---

(١) أي ينحاه ويبعده عن نفسه.
(٢) في نسخة: ليرد عليهما. وفي أخرى: ليوردا.

وجعل الأنف فيما بينهما ليقسم النور قسمين إلى كل عين سواء. وكانت العين كاللوزة ليجري فيها الميل بالدواء، ويخرج منها الداء، ولو كانت مربعة أو مدورة ما جرى فيها الميل، وما وصل إليها دواء، ولا خرج منها داء. وجعل ثقب الأنف في أسفله لتنزل منه الأدواء المنحدرة من الدماغ، ويصعد فيه الأراييح (١) إلى المشام، ولو كان في أعلاه لما أنزل داء، ولا وجد رائحة. وجعل الشارب والشفة فوق الفم لحبس ما ينزل من الدماغ عن الفم لئلا يتنغص (٢) على الإنسان طعامه وشرابه فيميطه عن نفسه. وجعلت اللحية للرجال ليستغني بها عن الكشف في المنظر ويعلم بها الذكر من الأنثى. وجعل السن حادا لأن به يقع العض، وجعل الضرس عريضا لأن به يقع الطحن والمضغ، وكان الناب طويلا ليسند (٣) الأضراس والأسنان

---

(١) في نسخة: ويصعد فيه الروائح. وفي أخرى وكذا العلل: الأرياح.

(٢) أي لئلا يتكدر على الإنسان طعامه وشرابه. وفي نسخة: لكيلا يتنغص.

(٣) في نسخة: ليشد الأضراس. وفي العلل: ليشتد الأضراس. وفي الخصال: ليشيد الأضراس.

كالأسطوانة في البناء.
وخلا الكفان من الشعر لأن بهما يقع اللمس، فلو كان فيهما شعر ما درى الإنسان ما يقابله ويلمسه (١).
وخلا الشعر والظفر من الحياة لأن طولهما سمج (٢) وقصهما حسن، فلو كان فيهما حياة لألم الإنسان لقصهما (٣). وكان القلب كحب الصنوبر لأنه منكس فجعل رأسه دقيقا ليدخل في الرية فتروح عنه ببردها، لئلا يشيط الدماغ بحره.
وجعلت الرية قطعتين ليدخل بين مضاغطها فيتروح عنه بحركتها. وكانت الكبد حدباء لتثقل المعدة ويقع جميعها عليها فيعصرها ليخرج ما فيها من البخار.
وجعلت الكلية كحب اللوبيا لأن عليها مصب المني نقطة بعد نقطة، فلو كانت مربعة أو مدورة احتبست النقطة الأولى إلى الثانية (٤) فلا يلتذ بخروجها الحي، إذ المني

---

(١) في نسخة: ما درى الإنسان ما يعالجه ويلمسه.
(٢) في نسخة: لأن طولهما وسخ. وفي العلل: لأن طولهما وسخ يقبح.
(٣) في نسخة: لألم الإنسان بقصهما.
(٤) في نسخة وفي الخصال: احتبست النطفة الأولى إلى الثانية.

ينزل من فقار الظهر إلى الكلية، فهي كالدودة تنقبض
وتنبسط، ترميه أولا فأولا إلى المثانة كالبندقة من القوس.
وجعل طي الركبة إلى خلف لأن الإنسان يمشي إلى ما بين
يديه فيعتدل الحركات (١)، ولولا ذلك لسقط في المشي.
وجعل القدم مخصرة لأن الشئ إذا وقع على الأرض
جميعه ثقل ثقل حجر الرحى، فإذا كان على حرفه دفعه
الصبي (٢) وإذا وقع على وجهه صعب نقله على الرجل.
فقال له الهندي: من أين لك هذا العلم؟ فقال (عليه السلام):
أخذته عن آبائي (عليهم السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، عن جبرئيل،
عن رب العالمين جل جلاله الذي خلق الأجساد
والأرواح. فقال الهندي: صدقت وأنا أشهد أن لا إله إلا
الله، وأن محمدا رسول الله وعبده، وأنك أعلم أهل
زمانك (٣).

---

(١) في نسخة: فيعتدل الحركتان.
(٢) في نسخة وفي الخصال: رفعه الصبي.
(٣) علل الشرائع: ٤٤. الخصال ٢: ٩٧.

تصدي الإمام (عليه السلام)
لحركة الزندقة
من التغييرات الفكرية الطارئة في عصر الإمام
الصادق (عليه السلام) حركة الزندقة ونشاطاتها الفكرية، وبروز
الأفكار الخطرة التي تسربت إلى منطلقات الفكر
الإسلامي، وأخطر من ذلك تسريبها من قبل الشخصيات
التي تحملت مسؤولية البث لهذه الأفكار الفاسدة وإعطاء
قوة الثبت والدفع.
ونحن لا نريد أن نتطرق إلى حركة الزندقة
ودوافعها السياسية والتأريخية، ولكننا سنحاول عرض
شئ موجز من ذلك مما يرتبط بالبحث.
ولم تكن الزندقة بمفهومها الإلحادي بموضوع
طارئ وغريب عن واقع الرسالة الإسلامية منذ بدء

انطلاقها، ففي الكتاب المجيد آيات كثيرة تطرقت إلى معالجة الإلحاد ووجود الله سبحانه، ووجوب توحيده مما يشعر بأن قضية الإلحاد كانت من أهم المشاكل التي تعرضت الرسالة لمعالجتها وحسمها بما يتناسب وفطرة الإنسان السليمة وبساطة تفكيره، بعيدا عن عقد الشبهات الفلسفية والالتباسات الفكرية، كما ردهم القرآن الكريم بقوله:

* (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون) * (١).

غير أن فكرة الزندقة والإلحاد في عصر الإمام الصادق (عليه السلام) اتخذت شكلا علميا معمقا، وجعلت من عقيدة التوحيد السهلة اليسيرة مشكلة فكرية معقدة ذات طابع فلسفي غامض.

ولعل من أهم أسباب طروء هذا التغير الفكري هو انتشار البحوث الكلامية المعمقة، والتوسع في جهاتها المنهجية التحليلية بعيدة عن البساطة الفطرية، والصفاء الذهني والوجداني للإنسان.

---

(١) البقرة: ٢٨.

والسبب المهم الآخر هو الانفتاح العلمي المفاجئ على المدارس الفلسفية اليونانية، والفلسفات الأخرى التي طورت الذهنية العلمية وأعطت للحوار العقائدي بين العلماء والمفكرين مجالا واسعا وعميقا بما تحمله من نظريات غامضة وشبهات وتشكيلات قد تبتعد بالإنسان عن معطيات الفطرة السليمة.

وقد ظهرت الانقسامات الفكرية في عصر الإمام الصادق (عليه السلام) وتنوعت المذاهب والمدارس الفكرية الإسلامية واختلفت في اتجاهاتها وتباينت عمليات التركيز العام للأسس العقائدية والتشريعية فيما بينها، وانطلقت حركة الجدل الحاد بين مختلف الفرق الكلامية، ما بين المعتزلة والقدرية والمرجئة والخوارج وغيرها من الفرق التي خلفتها عوامل الانحراف الرهيب من سياسية وفكرية وغيرها من مسببات الانقسام والتمزق التي سببها غياب القيادة الإسلامية الملتزمة والمسؤولة، وضعف القيادات القائمة رساليا وفكريا، فضلا عن أن بعض القيادات الحاكمة كانت تشجعها.

وفي خضم هذا المعترك المحموم، كان لا بد من أن

يكون للإمام دوره القيادي المسؤول، خصوصا وإنه يمثل القاعدة الفكرية البارزة في المجتمع الإسلامي، والممثل الأصيل للرسالة في شتى منطلقاتها، فقد واجه الإمام مختلف الصراعات القائمة في عصره، ووقف منها موقف الرسالي الهادف، في مناظرات علمية رائعة، دافع فيها بما يملك من قوى إقناع هائلة ومنطق رسالي ثابت، جعلت من الخصوم الجبابرة أقزاما تتضاءل بين يديه وتذوب كما تذوب دمى الشمع عندما تلامسها حرارة النار، وأنى لدمي الباطل أن تصمد أمام إشراقة الحق، وكيف لها أن لا تذوي أمام حرارة الإيمان.

كما أن كثيرا من مناظرات الإمام (عليه السلام) قد أغفلها التأريخ مثل ما أغفل أخباره، وليس من المعقول أن تقتصر مناظراته على هذا القدر المحدود الذي نقلته لنا كتب الكلام والسيرة، مع ملاحظة ما كان يتمتع به الإمام (عليه السلام) من مركز علمي قيادي، والذي كانت حلقته الدراسية تمثل نقطة تحول وانطلاق ولقاء بين جميع عناصر المذاهب الفقهية والكلامية على اختلاف نزعاتها ومنطلقاتها المتنوعة، فمنها ما يتعلق بالتوحيد والجهات

التي ترجع إلى بدء الخلق ومتفرعاتها، ومنها ما يتعلق بالإمامة والخلافة، ومنها ما يتعلق بالصراع الدائر بين مختلف المذاهب الإسلامية وغيرها من الملل والنحل، ومنها ما يتعلق بقضايا التشريع والفقه مما يمس نقاط الاختلاف القائم بين مختلف المدارس الفقهية في ذلك العصر، وغيرها من قضايا الساعة والشؤون التي تتعلق بالجوانب المتنوعة لجهات الفكر والمعرفة.

أما مناظراته (عليه السلام) في مجال التوحيد، فقد نقلت كتب السيرة والكلام بعض نماذج الحوار مع الزنادقة في عصر الإمام (عليه السلام) وعرض بعض مناظراته في التوحيد مع بعض زنادقة زمانه الذين وجدوا في الإمام عنصر الكفاءة العلمية في أعمق معطياتها، فكان الإمام الإنسان الوحيد في عصره الذي انفتحوا عليه بجدية، بما يحملون من أفكار التشكيك والتلبيس، فمنهم من استسلم عن قناعة وإيمان، حينما كانت الحقيقة رائدهم في البحث والمناظرة، ومنهم من أصر على عناده على رغم اعترافه بالانهزام أمام منطق الإمام وحجته الدامغة.

وقد التزم الإمام (عليه السلام) في مناظراته مع خصومه

بالمنطق السليم وأسلوبه السلس ونهجه المتميز في المناظرات، فهو يبسط الفكرة بسهولة فائقة، ويعرضها ببساطة متناهية يقترب بها حتى من الأذهان الساذجة، رغم العمق الذي يتسم به مضمونها، مما يكشف عن المقدرة البيانية الرائعة التي يمتلكها الإمام في التعبير والعرض، وهذا الأسلوب هو الأسلوب الرسالي الذي تميز به القرآن الكريم في عرضه لدلائل التوحيد، والاحتجاج على المشركين في قضايا العقيدة والإيمان.

كما أن الإمام الصادق (عليه السلام) اعتمد الحوار الهادئ الموضوعي في تقريب الفكرة من الخصم والعمق في مضمونها مع مراعاة بعض التأثيرات النفسية في بعض الحالات التي تبعد الخصم عفويا عن أجواء الشك والعناد والريبة الطارئة، وتضعه في الجو الفطري البرئ المجرد من كل ما هو غريب عن إنسانيته وفطرته.

لقد وجد الزنادقة في الإمام الصادق (عليه السلام) أخطر خصم يواجهونه في حربهم مع الإسلام، فكانوا يحاولون إثارته بجدلهم المتعنت وتحدياتهم المثيرة، لكنه (عليه السلام) كان يواجه كل تلكم التحديات بهدوء وبروح العالم المطمئن

لموقفه، والواثق بحجته، ووضوح الرؤيا في مسلكه، وبروح المسؤولية الرسالية التي اعتمدت الكلمة الهادئة الهادفة والبيان، المؤمن في قضيته، الوديع في نقاشه، دون أن يفسح المجال للإثارة أن تمتلك عليه مواقفه، لتحقق للخصم الانتصار نفسيا عليه ليكون منفذا للتحدي، ودعما لمواقف الخصم المعادي للإيمان.

وقد أمسك الإمام بهذا الأسلوب الرسالي زمام المبادرة، وأوقف الخصم عند حده، وألزم الزنادقة الرهبة والتقدير والاحترام في نفوسهم.

ويستوقفنا مشهد الحوار الطريف الذي جرى بين قطبين من أقطاب الزندقة، هما ابن المقفع وزميله ابن أبي العوجاء، والذي يدلل بصراحة على مدى الشعور بالخطر لدى هؤلاء وأمثالهم من منازلة الإمام الصادق في أي مجال من مجالات الجدل والحوار.

فقد اجتمع بعض الزنادقة في حلقة في المسجد الحرام وفيهم ابن المقفع وابن أبي العوجاء، فقال ابن المقفع: ترون هذا الخلق – وأومأ بيده إلى موضع الطواف –، ما منهم أحد أوجب له اسم الإنسانية إلا ذلك

الشيخ الجالس – يعني الإمام الصادق – وأما الباقون فرعاع وبهائم (١).

ويتساءل عبد الكريم بن أبي العوجاء، وهو كذلك من أقطاب الإلحاد والزندقة: كيف أوجبت هذا الاسم لهذا الشيخ دون هؤلاء؟ قال ابن المقفع: لأني رأيت عنده ما لم أره عندهم!!

ولم يكن يطيب لابن المقفع أن يقر للإمام (عليه السلام) بمثل هذا الواقع، لولا انهزامه نفسيا وفكريا أمام منطق الإمام الصائب وشخصيته الفذة، على رغم اعتداده بنفسه وما عرف به من عتو وغرور، والتي تدلل عليه كلمته هذه في التعريف بالإمام (عليه السلام) وبالناس.

ومن المؤسف أن التأريخ لم يسجل لنا أيا من المناظرات العلمية التي جرت بين الإمام وابن المقفع، والذي يكشف عنها حواره هنا مع ابن أبي العوجاء. وفيما يلي بقية الحوار.

فقال ابن أبي العوجاء: لا بد من اختبار ما قلت فيه منه.

---

(١) الكافي ١: ٧٤.

فقال له ابن المقفع: لا تفعل فإني أخاف أن يفسد عليك ما في يدك.
فقال: ليس ذا رأيك، ولكن تخاف أن يضعف رأيك عندي في إحلالك إياه المحل الذي وصفت.
فقال ابن المقفع: أما إذا توهمت على هذا فقم إليه وتحفظ ما استطعت من الزلل، ولا تثني عنانك إلى استرسال فيسلمك إلى عقال، وسمه ما لك وما عليك.
ويذهب ابن أبي العوجاء ليلتقي بالإمام ثم لا يلبث أن رجع مخاطبا ابن المقفع قائلا: ويلك يا ابن المقفع ما هذا بشر، وإن كان في الدنيا روحاني يتجسد إذا شاء ظاهرا، ويتروح إذا شاء باطنا فهو هذا.
فقال له ابن المقفع: وكيف ذلك؟
قال ابن أبي العوجاء: جلست إليه فلما لم يبق عنده غيري ابتدأني، فقال:
إن يكن الأمر على ما يقول هؤلاء - مشيرا لمن في المطاف - وهو كما يقولون - يعني أهل الطواف -، فقد سلموا وعطبتم، وإن يكن الأمر على ما تقولون وليس كما تقولون فقد استويتم وهم.

فقلت له: يرحمك الله، وأي شئ نقول، وأي شئ يقولون؟ ما قولي وقولهم إلا واحد.

فقال الإمام: وكيف يكون قولك وقولهم واحدا، وهم يقولون إن لهم معادا وثوابا وعقابا ويدينون بأن في السماء إلها وإنها عمران، وأنتم تزعمون أن السماء خراب ليس فيها أحد.

قال: فاغتنمتها منه فقلت له: ما منعه إن كان الأمر كما يقولون أن يظهر لخلقه ويدعوهم إلى عبادته حتى لا يختلف عليه منهم اثنان؟ ولم احتجب عنهم وأرسل إليهم الرسل، ولو باشرهم بنفسه كان أقرب إلى الإيمان به؟

فقال الإمام: ويلك يا عبد الكريم، كيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك، نشوؤك ولم تكن، وكبرك بعد صغرك، وقوتك بعد ضعفك، وضعفك بعد قوتك، وسقمك بعد صحتك، وصحتك بعد سقمك، ورضاك بعد غضبك، وغضبك بعد بغضك، وبغضك بعد حبك، وعزمك بعد أناتك، وأناتك بعد عزمك، وشهوتك بعد كراهتك، وكراهتك بعد شهوتك، ورغبتك بعد رهبتك، ورهبتك

بعد رغبتك، ورجاءك بعد يأسك، ويأسك بعد رجائك، وخاطرك بما لم يكن في وهمك، وغروب ما أنت معتقده في ذهنك، وما زال يعدد علي قدرته التي هي في نفسي حتى ظننت أنه سيظهر فيما بيني وبينه (١).

وينهزم ابن أبي العوجاء أمام هذا المنطق الفطري الرائع، ويؤخذ لا شعوريا ببساطة الحجة التي أغلقت على نفسه منافذ الشك والاعتراض، فتعقد الحيرة لسانه، ويختلط عليه موقف الحوار، وتصور أن الذي يحاوره إنسان ولكن ليس من جنس البشر.

وقد حاول الإمام في حواره أن يحتكم إلى رؤيا واقع مصيري، تنعكس على مصير الإنسان، فسلوك سبيل الإيمان على أي وجه افترضناه، يبقى الوجه الأسلم الذي يضمن به الإنسان سلامة مصيره، وهو أمر من مسلمات الفطرة السليمة وبديهيات العقل.

ولم يكن بيان الإمام بصدد إثبات شئ أو نفيه، وإنما هو تصوير لرؤيا المصير الذي سينتهي إليه الإنسان

---

(١) الكافي ١: ٧٤ - ٧٥.

المؤمن والكافر، عند انتهاء وجوده في هذه الحياة،
وفي نفس الوقت تهيئة الأرضية الصالحة للحوار الجدي
الذي يعتمد القناعة كهدف فيما يلقي من حجة،
وما يعرض من حلول، بعيدا عن العناد والمكابرة
واللجاج، الذي يفتقد الحوار معه دوره في البناء والتقييم.
وحاول ابن أبي العوجاء أن يستثير مشاعر الإمام
مرة ثانية بتحدياته، فتساءل: لماذا لم يظهر الله لخلقه
وينهي مشكلة الخلاف بين الكفر والإيمان؟ فكانت إجابة
الإمام في بساطتها، كما سبق، بمثابة عملية تطهير لنفسه.
ولم يكن ابن أبي العوجاء مناظرا موضوعيا في
بحثه عن الحقيقة وتطلعه نحو المعرفة، بل كان يتعمد في
حواره الجدل العقيم لتغطية انهزامه وفشله.
عاد ابن أبي العوجاء في اليوم الثاني إلى الإمام
ليستأنف الحوار، وقد ذهل ولم يعرف من أين يبدأ
الحديث.
وأدرك الإمام ما كان يتخبط به من موقف حائر،
فيبادره قائلا: كأنك جئت تعيد بعض ما كنا فيه؟
فقال: نعم، أردت ذلك يا ابن رسول الله.

فقال له الإمام مستغربا: ما أعجب هذا! تنكر الله وتشهد أني ابن رسول الله؟!
فقال: العادة تحملني على ذلك.
فقال له الإمام: ما يمنعك من الكلام؟
قال: إجلالا لك ومهابة، ما ينطلق لساني بين يديك، فإني شاهدت العلماء وناظرت المتكلمين، فما تداخلني هيبة قط مثل ما تداخلني من هيبتك.
قال الإمام: يكون ذلك، ولكن أفتح عليك بسؤال.
وأقبل عليه فقال له: أمصنوع أنت أم غير مصنوع؟
فقال ابن أبي العوجاء: بل أنا غير مصنوع.
فقال له الإمام: فصف لي لو كنت مصنوعا كيف كنت تكون؟ فبقي ابن أبي العوجاء مليا لا يحير جوابا، وولع بخشبة كانت في يديه وهو يقول: طويل، عريض، عميق، قصير، متحرك، ساكن، كل ذلك صفة خلقه.
فقال له الإمام: فإن كنت لم تعلم صفة الصنعة غيرها، فاجعل نفسك مصنوعا لما تجد في نفسك يحدث من هذه الأمور.
فقال له: سألتني عن مسألة لم يسألني عنها أحد

قبلك، ولا يسألني أحد بعدك عن مثلها.
فقال له الإمام: يا عبد الكريم (١)، هبك علمت أنك لم تسأل فيما مضى، فما علمك أنك لا تسأل عنها فيما بعد، على إنك يا عبد الكريم نقضت قولك، لأنك تزعم أن الأشياء من الأول سواء فكيف قدمت وأخرت.
ثم أردف الإمام وقال: يا عبد الكريم، أزيدك وضوحا، أرأيت لو كان معك كيس فيه جواهر فقال لك قائل: هل في الكيس دينار؟ فنفيت كون الدينار في الكيس، فقال لك: صف لي الدينار، وكنت غير عالم بصفته، هل كان لك أن تنفي كون الدينار في الكيس وأنت لا تعلم؟
قال: لا.
قال الإمام: فالعالم أكبر وأطول وأعرض من الكيس، فلعل في العالم صنعة من حيث لا تعلم صفة الصنعة من غير الصنعة؟
فانقطع ابن أبي العوجاء وأجاب إلى الإسلام بعض

---

(١) وهو الاسم الأول لابن أبي العوجاء.

أصحابه وبقي معه بعض المعاندين (١).
غير أن ابن أبي العوجاء لا يريد أن ينهزم أمام منطق الحق والإيمان ولو ظاهرا، رغم قناعته بالهزيمة على أرض الواقع، ووقوفه في الحوار أمام باب مغلق لا يبدو أنه ينفتح عليه بشئ، فيعاود الحوار في اليوم الثالث، ولكنه في هذه المرة يبدو متماسكا في حديثه، فيفرض مبدأ الحوار ويقف موقف المتسائل الذي يملك الحجة لنفسه بعد أن وجد من الإمام انبساطا وانفتاحا وسهولة في الحوار والمناظرة.
قال ابن أبي العوجاء: أقلب السؤال.
فقال الإمام: سل ما شئت.
فقال الزنديق: ما الدليل على حدوث الأجسام؟
فقال الإمام: إني ما وجدت شيئا صغيرا ولا كبيرا إلا وإذا ضم إليه مثله صار أكبر، وفي ذلك زوال وانتقال عن الحالة الأولى، ولو كان قديما ما زال ولا حال، لأن الذي يزول ويحول يجوز أن يوجد ويبطل، فيكون

---

(١) الكافي ١: ٧٦ - ٧٨.

بوجوده بعد عدم دخوله في الحدث، وفي كونه في الأزل دخوله في العدم، ولن تجتمع صفة الأزل والعدم والحدوث والقدم في شئ واحد.
ولكن ابن أبي العوجاء لا يريد التخلي عن جدليته، لأن الفشل والانهزام منوط بالتخلي عن ذلك.
والواقع أن انتقال ابن أبي العوجاء في حديثه من الواقع إلى الافتراض، هو تسليم منه بثبوت الحدوث للأجسام مما هو ثابت وواقع، واعترافه بالعجز عن إثبات خلافه، وقد شعر بالهزيمة تهز كيانه وموقفه، وبالخلط والحيرة يلفان تصوراته، ويمزقان نفسه كلما اتسع الحوار بينه وبين الإمام، فانقطع عن مواجهة الإمام حتى التقى به في الحرم الشريف فقيل للإمام إنه أسلم، فقال: هو أعمى من ذلك ولا يسلم، لما عرف من عناده للحق وإصراره على الكفر والضلال، ورغم هذا فقد بادره الإمام متسائلا بغرابة: ما جاء بك إلى هذا الموضع؟ فقال: عادة الجسد وسنة البلد، ولننظر ما الناس فيه من الجنون والحلق ورمي الحجارة.
فقال له الإمام: أنت بعد على عتوك وضلالك؟

فذهب يتكلم فقال له الإمام: لا جدال في الحج، ونفض ردائه، وقال: إن يكن الأمر كما تقول، وليس كما تقول، فقد نجونا ونجوت، وإن كان الأمر كما نقول، وهو كما نقول، فقد نجونا وهلكت.

وكأن الإمام أراد بذلك أن ينهي حواره معه، بعد أن دلل هذا على لجاجته في العناد وإغراقه في المكابرة، وانتهاء الإمام في حواره بما ابتدأ به سابقا.

وقبل ذلك حاول ابن أبي العوجاء إثارة هدوء الإمام بتحدياته، ولم يكن على ما يبدو قد التقى به قبل ذلك.

فقد حدث عيسى بن يونس (١) قائلا:

كان ابن أبي العوجاء من تلامذة الحسن البصري، فانحرف عن التوحيد، فقيل له: تركت مذهب صاحبك ودخلت فيما لا أصل له ولا حقيقة.

---

(١) عيسى بن يونس، ذكره الشيخ في رجاله: ٢٥٨ في أصحاب الصادق (عليه السلام) وفي أصحاب الكاظم (عليه السلام): ٣٥٥ فقال: عيسى بن يونس بزرج له كتاب.

قال: إن صاحبي كان مخلطا، يقول طورا بالقدر، وطورا بالجبر، فما أعلمه اعتقد مذهبا دام عليه.
فقدم مكة متمردا وإنكارا على من يحجه، وكانت العلماء تكره مجالسته لخبث لسانه وفساد ضميره، فأتى أبا عبد الله فجلس إليه في جماعة من نظرائه، فقال: يا أبا عبد الله، إن المجالس بالأمانات ولا بد لكل من به سعال أن يسعل، أفتأذن لي بالكلام؟
فقال: تكلم.
فقال: إلى كم تدوسون هذا البيدر، وتلوذون بهذا الحجر، وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب والمدر، وتهرولون حوله كهرولة البعير إذا نفر، إن من فكر في هذا وقدر علم أن هذا فعل أسسه غير حكيم ولا ذي نظر، فقل فإنك رأس هذا الأمر وسنامه، وأبوك أسه ونظامه.
فقال الإمام: إن من أضله الله وأعمى قلبه واستوخم العواقب ولم يستعذبه، وصار الشيطان وليه، يورده مناهل الهلكة ثم لا يصدره، وهذا بيت استعبد الله به عباده، ليختبر طاعتهم في إتيانه، فحثهم على تعظيمه

وزيارته، وجعله محل أنبيائه، وقبلة للمصلين له، فهو شعبة من رضوانه وطريق يؤدي إلى غفرانه، منصوب على استواء الكمال، مجمع العظمة والجلال، خلقه الله قبل دحو الأرض بألفي عام، فأحق من أطيع فيما أمر وانتهى عما نهي عنه وزجر، الله المنشئ للأرواح والصور.

فقال ابن أبي العوجاء: ذكرت الله فأحلت على الغائب.

فقال الإمام: كيف يكون غائبا من هو مع خلقه شاهد، وإليهم أقرب من حبل الوريد، يسمع كلامهم، ويرى أشخاصهم، ويعلم أسرارهم؟

فقال الزنديق: فهو في كل مكان، أليس إذا كان في السماء كيف يكون في الأرض؟ وإذا كان في الأرض كيف يكون في السماء؟

فقال الإمام: إنما وصفت المخلوق، الذي إذا انتقل من مكان اشتغل به مكان وخلا منه مكان، فلا يدري في مكان الذي صار إليه ما حدث في المكان الذي كان فيه، فأما الله العظيم الشأن الملك الديان، فلا يخلو منه مكان

ولا يشغل به مكان، ولا يكون إلى مكان أقرب إلى مكان (١).
فسكت الزنديق ولم يحر جوابا وخرج مرغما مهزوما.
ومن ابن أبي العوجاء وابن المقفع ننتقل بالحديث إلى زنديق آخر، هو أبو شاكر عبد الله الديصاني، الذي افتتح الحوار مع الإمام الصادق (عليه السلام) من خلال هشام بن الحكم، فقد التقى به وسأله: ألك رب؟
فقال هشام: بلى.
قال الديصاني: أقادر هو؟
قال هشام: نعم، قادر قاهر.
قال الديصاني: يقدر أن يدخل الدنيا كلها في البيضة، لا تكبر البيضة ولا تصغر الدنيا؟
قال هشام: النظرة.
قال الديصاني: قد أنظرتك حولا.
وكان هذا السؤال من الديصاني مفاجأة لهشام،

---

(١) الكافي ١: ١٢٥ - ١٢٦.

وهو المتكلم الجدلي البارع، إذ لم يكن قد عرض له مثل هذا السؤال فيما سبق، فيتجه إلى الإمام مستفهما، فيجيبه الإمام بمنطق الجدل الذي ينسجم مع طبيعة السؤال لا بمنطق الحجة القاطعة.

قال الإمام: يا هشام، كم حواسك؟

قال هشام: خمسة.

قال الإمام: أيهما أصغر؟

قال هشام: الناظر.

قال الإمام: وكم قدر الناظر؟

قال هشام: مثل العدسة أو أقل منها.

قال الإمام: يا هشام انظر أمامك وفوقك وأخبرني بما ترى.

قال هشام: أرى سماء وأرضا ودورا وقصورا وبراري وجبالا وأنهارا.

قال الإمام: إن الذي قدر أن يدخل الذي تراه في العدسة أو أقل منها قادر أن يدخل الدنيا كلها في البيضة لا تصغر الدنيا ولا تكبر البيضة.

فأكب هشام عليه يقبل يديه ورأسه وقال: حسبي

يا ابن رسول الله، وانصرف إلى منزله.
وكأن الإمام أراد أن يقطع الحجة على الديصاني بالنقض جدلا بشئ يدرسه بالحس البديهي، بعد أن لم يكن الديصاني جديا في البحث عن الحل الواقعي.
ويدخل الديصاني بعدها على الإمام ويستأذنه في المناظرة فيأذن له، فقال له: يا جعفر بن محمد، دلني على معبودي، فتناول الإمام بيضة كانت في يد غلام له في المجلس يلعب بها وقال: يا ديصاني، هذا حصن له جلد غليظ، وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق، وتحت الجلد الرقيق ذهبة مائعة، وفضة ذائبة، فلا الذهبة المائعة تختلط مع الفضة الذائبة، ولا الفضة الذائبة تختلط مع الذهبة المائعة، فهي على حالها لم يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن صلاحها، ولا دخل لها داخل مفسد فيخبر عن فسادها، لا يدري للذكر خلقت أم للأنثى، تنفلق عن مثل ألوان الطواويس، أترى لها مدبرا؟
فأطرق الديصاني مليا وأسلم كما قيل (١).

---

(١) الكافي ١: ٨٠.

وفي احتجاج الطبرسي: فأطرق مليا ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وأنك إمام وحجة من الله على خلقه، وأنا تائب مما كنت فيه.

لقد كانت وقفة متأملة رائعة من الإمام، أمام الإعجاز المحير في خلق البيضة وتكوينها، فوجئ بها الديصاني، وفوجئت بها نوازع الشك في نفسه، وكيف له أن ينكر أن لها مدبرا، وهي بهذه الدقة من التكوين والإبداع، إلا أن يتناسى في نفسه موازين إنسانيته التي تعتمد الوجدان قاعدة لها في التسليم والفهم.

مناظراته (عليه السلام) مع الديصاني

روى المفيد: أن أبا شاكر الديصاني وقف ذات يوم في مجلس أبي عبد الله (عليه السلام) فقال له: إنك لأحد النجوم الزواهر، وكان آباؤك بدورا بواهر، وأمهاتك عقيلات عباهر، وعنصرك من أكرم العناصر، وإذا ذكر العلماء فعليك تثنى الخناصر، خبرنا أيها الحبر الزاهر، ما الدليل

على حدوث العالم؟ فقال له أبو عبد الله (عليه السلام): من أقرب الدليل على ذلك ما أظهره لك، ثم دعا ببيضة فوضعها في راحته وقال: هذا حصن ملموم داخله غرقئ رقيق يطيف به كالفضة السائلة والذهبة المائعة، أتشك في ذلك؟ قال أبو شاكر: لا شك فيه، قال أبو عبد الله (عليه السلام): ثم إنه ينفلق عن صورة كالطاووس، أدخله شئ غير ما عرفت؟ قال: لا. قال (عليه السلام): فهذا دليل على حدوث العالم. فقال أبو شاكر الديصاني: دللت يا أبا عبد الله فأوضحت، وقلت فأحسنت، وذكرت فأوجزت، وقد علمت أنا لا نقبل إلا ما أدركناه بأبصارنا، أو سمعناه بآذاننا، أو ذقناه بأفواهنا، أو شممناه بأنوفنا، أو لمسناه ببشرتنا، فقال (عليه السلام): ذكرت الحواس الخمس وهي لا تنفع في الاستنباط إلا بدليل كما لا تقطع الظلمة بغير مصباح، يريد بذلك (عليه السلام) أن الحواس الخمس بغير عقل لا توصل إلى معرفة الغائبات وأن الذي أراه من حدوث الصور معقول، بني العلم به على محسوس.

ومن مناظراته في التوحيد مع الزنادقة، ما ورد في حوار طويل مع أحد الزنادقة يشتمل على متنوعات كثيرة

من الأسئلة التعجيزية، فقد سأله زنديق: كيف يعبد الله الخلق ولم يروه؟
قال الإمام: رأته القلوب بنور الإيمان، وأثبتته العقول بيقظتها إثبات العيان، وأبصرته الأبصار بما رأته من حسن التركيب، وإحكام التأليف، ثم الرسل وآياتها، والكتب ومحكماتها، واقتصرت العلماء ما رأت من عظمته دون رؤيته.
قال الزنديق: أليس هو القادر أن يظهر حتى يروه فيعرفونه فيعبد على يقين؟
قال الإمام: ليس للمحال جواب.
يقول العلامة المظفر في كتابه الإمام الصادق (عليه السلام)، الصفحة ١٩١:
إنما الرؤية تثبت للأجسام، وإذا لم يكن تعالى جسما استحالت رؤيته، والمحال غير مقدور، لا من جهة النقص في القدرة بل النقص في المقدور.
وسأله الزنديق: من أي شئ خلق الأشياء؟
قال الإمام: لا من شئ.
قال الزنديق: كيف يجئ من لا شئ شئ؟

قال الإمام: إن الأشياء لا تخلو إما أن تكون خلقت من شئ أو من غير شئ، فإن كانت خلقت من شئ كان معه، فإن ذلك الشئ قديم، والقدم يكون حديثا، ولا يتغير... إلى آخر المناظرة المذكورة في الكافي.

والذي أراد الإمام إثباته من خلال عملية الحصر في هذه الموجودات التي نشاهدها لا بد وأن تكون مسبوقة بالعدم.

وبعد أن جرى الحوار في منوعات من القضايا والمواضيع إلى أن قال الزنديق: فأخبرني عن الله، أله شريك في ملكه، أو مضاد في تدبيره؟

قال الإمام: لا.

قال الزنديق: فما هذا الفساد في العالم؟ من سباع ضارية وهوام مخوفة وخلق كثير مشوهة ودود وبعوض وحيات، وزعمت أنه لا يخلق شيئا إلا لعلة لأنه لا يعبث؟

قال الإمام: ألست تزعم أن العقارب تنفع من وجع المثانة والحصاة ومن يبول على الفراش، وأن أفضل الترياق ما عولج من لحوم الأفاعي، فإن لحومها إذا أكلها المجذوم بشب نفعه، وتزعم أن الدود الأحمر الذي يصاب تحت الأرض نافع للآكلة؟

قال الزنديق: نعم.
قال الإمام: فأما البعوض والبق فبعض سببه أنه جعله بعض أرزاق الطير، وأهان به جبارا تمرد على الله وتجبر وأنكر ربوبيته، فسلط الله عليه أضعف خلقه، ليريه قدرته وعظمته وهي البعوض، فدخل في منخره حتى وصلت إلى دماغه فقتلته، واعلم أنا لو وقفنا على كل شئ خلقه الله تعالى لم خلقه؟ ولأي شئ أنشأه؟ لكنا قد ساويناه في علمه، وعلمنا كل ما يعلم، واستغنينا عنه وكنا وهو في العلم سواء.
ومن جملة ما طرحه الزنديق من الأسئلة، قال:
أخبرني أيها الحكيم، ما بال السماء لا ينزل منها إلى الأرض أحد ولا يصعد إليها من الأرض بشر، ولا طريق إليها ولا مسلك، فلو نظر العباد في كل دهر مرة من يصعد إليها وينزل لكان ذلك أثبت للربوبية، وأنفى للشك وأقوى لليقين، وأجدر أن يعلم العباد أن هناك مدبرا، إليه يصعد الصاعد ومن عنده يهبط الهابط.
قال الإمام: إن كل ما ترى في الأرض من التدبير إنما هو ينزل من السماء ومنها يظهر، أما ترى الشمس منها

تطلع وهي نور النهار وفيها قوام الدنيا ولو حبست حار من عليها وهلك، والقمر منها يطلع وهو نور الليل، وبه يعلم عدد السنين والحساب والشهور والأيام، ولو حبس لحار من عليها وفسد التدبير، وفي النجوم التي تهتدي بها في ظلمات البر والبحر، ومن السماء ينزل الغيث
الذي فيه حياة كل شئ من الزرع والنبات والأنعام وكل الخلق، لو حبس عنهم لما عاشوا، والريح لو حبست إياه لفسدت الأشياء جميعا وتغيرت، ثم الغيم والرعد والبرق والصواعق كل ذلك إنما هو دليل على أن هناك مدبرا يدبر كل شئ ومن عنده ينزل، وقد كلم الله موسى وناجاه، ورفع عيسى بن مريم، والملائكة تنزل من عنده، غير أنك لا تؤمن بما لم تره بعينك، وفيما تراه بعينك كفاية.
والذي نلاحظه هنا، أن طرح الأسئلة من المناظر كان بدافع التعجيز والجدل غير المنطقي، وهو نظير أسئلة بني إسرائيل لموسى (عليه السلام).
ويدخل ابن أبي العوجاء مرة على الإمام (عليه السلام)، وفي كلماته سخرية ومكر، فيسأله: أليس تزعم أن الله خالق كل شئ؟

فقال الإمام: بلى.
قال ابن أبي العوجاء: أنا أخلق.
فقال الإمام: كيف تخلق؟
قال: أحدث في الموضع ثم ألبث عنه فيصير دوابا فكنت أنا الذي خلقتها.
وكان ابن أبي العوجاء أراد أن يثير الإمام بأسلوبه النابي البعيد عن لياقة التهذيب وآداب السؤال ليثير مشاعر الإمام، ويستفزه من موقعه الجدي، ولكن الإمام كان في إجابته متماسكا في جديته، بعيدا عن موجبات الانفعال والتأثير، شأنه شأن أصحاب الرسالات الذين لا يتطلعون إلا إلى الهدف، غير عابئين باللسعات الطائشة التي تعترضهم من أشواك الطريق، وقد فاجأ الإمام مناظره بسؤاله: أليس خالق كل شئ يعرف لم خلقه؟
قال ابن أبي العوجاء: بلى.
قال الإمام: فتعرف الذكر من الأنثى وتعرف عمرها؟ فسكت الذي كفر. وقد ذوي فيه زهو سخريته ومكره، بعد أن عرف ضياع نفسه في متاهات الجهل والعناد.

ولابن أبي العوجاء مع الإمام مناظرات في التوحيد عديدة ذكرنا بعضها بصورة موجزة روما للاختصار.

وجرى نظير ذلك للإمام (عليه السلام) مع الجعدي بن درهم، فقد قيل: إنه وضع في قارورة ماء وترابا فاستحال دودا وهواما، فقال لأصحابه: أنا خلقت ذلك لأني سبب كونه. فبلغ قوله للإمام فقال: ليقل كم هي؟ وكم الذكران منه والإناث إن كان خلقه؟ وكم وزن كل واحدة منهن؟ وليأمر الذي سعى إلى هذا الوجه أن يرجع إلى غيره.

فبهت الذي كفر، فانقطع وهرب (١).

العدل بين النساء

سأل أحد الزنادقة أبا جعفر الأحول (مؤمن الطاق)، فقال: أخبرني عن قول الله تعالى: * (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) * (٢)، وقال تعالى في آخر السورة: * (ولن

---

(١) لسان الميزان، لابن حجر ٢: ١٠٥.

(٢) النساء: ٣.

تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل) * (١) فبين القولين فرق؟ فقال أبو جعفر الأحول: فلم يكن عندي جواب، فقدمت المدينة فدخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) فسألته عن الآيتين، فقال: أما قوله: * (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) * فإنما عنى في المودة، فإنه لا يقدر أحد أن يعدل بين امرأتين في المودة، فرجع أبو جعفر الأحول إلى الرجل فأخبره، فقال: هذا حملته من الحجاز (٢).

تفضيل النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) على سائر الأنبياء

عن أبي خنيس الكوفي قال: حضرت مجلس الإمام الصادق (عليه السلام) وعنده جماعة من النصارى، فقالوا: فضل موسى وعيسى ومحمد سواء، لأنهم (عليهم السلام) أصحاب الشرائع والكتب، فقال الإمام (عليه السلام): محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أفضل

---

(١) النساء: ١٢٩.

(٢) بحار الأنوار ١٠: ٢٠٢، الحديث ٦.

منهما (عليهما السلام) وأعلم، ولقد أعطاه الله تبارك وتعالى من العلم ما لم يعط غيره، فقالوا: آية من كتاب الله نزلت في هذا؟ قال (عليه السلام): نعم، قوله تعالى: * (وكتبنا له في الألواح من كل شئ) * (١)، وقوله تعالى لعيسى: * (ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه) * (٢)، وقوله تعالى للنبي المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم): * (جئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ) * (٣)، وقوله تعالى: * (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شئ عددا) * (٤)، فهو والله أعلم منهم، ولو حضر موسى وعيسى بحضرتي وسألاني لأجبتهما، وسألتهما ما أجابا (٥).

ويعلق العلامة المظفر بقوله: إذا كان أمير المؤمنين (عليه السلام) باب مدينة علم الرسول، وأولاده ورثة علمه، فهم إذن أعلم الناس كلهم، الأنبياء وغيرهم.

---

(١) الأعراف: ١٤٥.
(٢) الزخرف: ٦٣.
(٣) النحل: ٨٩.
(٤) الجن: ٢٨.
(٥) بحار الأنوار ١٠: ٢١٥، الحديث ١٥.

أحد الزنادقة يصير مؤمنا
وروى هشام بن الحكم، قال: كان بمصر زنديق
يبلغه عن أبي عبد الله (عليه السلام) أشياء، فخرج إلى المدينة
ليناظر الإمام (عليه السلام) فلم يصادفه بها، وقيل: إنه خارج
بمكة، فخرج إلى مكة ونحن مع أبي عبد الله (عليه السلام) فانتهى
إليه وهو في الطواف، وكان اسمه عبد الملك وكنيته
أبو عبد الله، فدنا من الإمام وسلم، فقال له الإمام (عليه السلام):
ما اسمك؟ قال: عبد الملك، قال: فما كنيتك؟ قال:
أبو عبد الله، فقال الإمام (عليه السلام): فمن هذا الملك الذي أنت
عبده؟ أمن ملوك الأرض أم ملوك السماء؟ وأخبرني عن
ابنك عبد إله السماء أم عبد إله الأرض؟ قل ما شئت
تخصم، فسكت، فلم يحر جوابا.
ثم قال له الإمام: إذا فرغت من الطواف فأتنا، فلما
فرغ الإمام (عليه السلام) أتاه الزنديق فقعد بين يديه، ونحن
مجتمعون عنده، فقال الإمام للزنديق: أتعلم أن للأرض
تحتا وفوقا؟ قال: نعم، قال: فدخلت تحتها؟ قال: لا،

قال: فما يدريك ما تحتها؟ قال: لا أدري، إلا أني أظن أن ليس تحتها شئ، فقال الإمام (عليه السلام): فالظن عجز فلم لا تستيقن، ثم أردف قائلا: أفصعدت إلى السماء؟ قال: لا، قال: أفتدري ما فيها؟ قال: لا، قال: عجبا لك لم تبلغ المشرق ولم تبلغ المغرب، ولم تنزل إلى الأرض ولم تصعد إلى السماء، ولم تجز هناك فتعرف ما خلقهن، وأنت جاحد بما فيهن، فهل يجحد العاقل ما لا يعرفه؟ قال الزنديق: ما كلمني بها أحد غيرك.

فقال الإمام (عليه السلام): فأنت من ذلك في شك، فلعله هو، ولعله ليس هو، فقال الزنديق: ولعل ذلك، فقال الإمام (عليه السلام): أيها الرجل ليس لمن لا يعلم حجة على من يعلم، ولا حجة للجاهل، يا أخا أهل مصر تفهم عني فإنا لا نشك في الله أبدا، أما ترى الشمس والقمر والليل والنهار يلجان فلا يشتبهان ويرجعان، قد اضطرا ليس لهما مكان إلا مكانهما، فإن كانا يقدران على أن يذهبا فلم يرجعان؟ وإن كانا غير مضطرين فلم لا يصير الليل نهارا والنهار ليلا؟ اضطرا والله يا أخا أهل مصر إلى دوامهما، والذي اضطرهما أحكم منهما وأكبر. فقال الزنديق: صدقت.

ثم قال الإمام (عليه السلام): يا أخا أهل مصر، إن الذي تذهبون إليه وتظنون من الدهر، إن كان الدهر يذهب بهم فلم لا يردهم؟ وإن كان يردهم لم لا يذهب بهم؟ القوم مضطرون يا أخا أهل مصر، ألم ترى السماء مرفوعة والأرض موضوعة؟ لم لا تسقط السماء على الأرض؟ لم لا تنحدر الأرض فوق ما تحتها؟ أمسكها والله خالقها ومدبرها، قال الزنديق: أمسكهما الله ربهما، سيدهما، خالقهما، مدبرهما.

قال: فآمن الزنديق على يدي الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام)، فقال حمران بن أعين (١): جعلت فداك، إن آمنت الزنادقة على يدك فقد آمن الكفار على يد أبيك.

فقال المؤمن الذي كان زنديقا للإمام: اجعلني من تلامذتك، فقال الإمام: يا هشام بن الحكم، خذه إليك.

فعلمه هشام، وأصبح المؤمن الجديد، معلم أهل الشام وأهل مصر الإيمان، وهكذا الهداية حلت بقلبه، وحسنت

---

(١) وهو أخ زرارة بن أعين الشيباني ومن خاصة أصحاب الإمامين الصادقين (عليهما السلام).

طهارته حتى رضي بها الإمام أبو عبد الله (عليه السلام).
وهناك حوار ومناظرات عديدة جرت بين
الإمام (عليه السلام) والزنادقة في التوحيد، وكذلك مع بعض الفرق
من الملل والنحل المنحرفة عن جادة الصواب والحق كما
أسلفنا الإشارة إليها.
نكتفي بهذا القدر روما للاختصار، وستأتي بعض
المناظرات مع الزنادقة في الفصل اللاحق بإذن الله، والله
نسأل أن يهدينا إلى سواء السبيل، ومنه نستمد التوفيق
والتسديد.
العبد المنيب
حسين الشاكري
دار الهجرة – قم المشرفة
الخاتم من شهر صفر الخير سنة ١٤١٨